دور السريان
فى التدوين التاريخي
رحلات البطريرك
ديونيسيوس التلمحري

(٨١٨ - ٨٤٥ م / ٢٠٣ – ٢٣١هـ) إنموذجاً

إعداد

أ . م . د / وفاء مختار غزالي علي

أستاذ مساعد تاريخ العصور الوسطى

بكلية الدراسات الإنسانية

جامعة الأزهر– القاهرة .

دور السريان فى التدوين التاريخي
رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري
(٨١٨ - ٨٤٥ م / ٢٠٣ – ٢٣١ه) إنموذجاً

أ. م . د / وفاء مختار غزالي علي
أستاذ مساعد تاريخ العصور الوسطى بكلية الدراسات الإنسانية
جامعة الأزهر– القاهرة .

الملخص

برز السريان فى التدوين التاريخي ، فدونوا سير شهدائهم ، والأحداث التاريخية المهمة ، كما دونوا تاريخ العرب فى العصر الجاهلي ، والفتوحات الأسلامية ، وتعتبر المؤلفات التاريخية السريانية ، مهمة جداً ، لدراسة التاريخ ، لأنها لشهود عيان ، شاركوا فى هذه الأحداث التاريخية.

يعتبر ديونيسيوس التلمحري أحد المؤرخين السريان فى القرن التاسع الميلادى ، الثالث الهجري ، الذي لعب دوراً كبيراً فى التدوين التاريخي ، قام بخمس رحلات إلى الخلفاء العباسيين المعاصريين له ، وتسجل رحلاته لمرحلة مهمة من التاريخ ، كان شاهداً على الكثير من أحداثها التاريخية ، ومشاركاً فيها .

الكلمات المفتاحية للبحث : التدوين التاريخي عند السريان – رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري – العلاقة بين المسلمين والسريان – تاريخ كنيسة أنطاكية في القرن التاسع الميلادي – العلاقة بين كنيستى الاسكندرية وأنطاكية .

Title: The Role of Syrians in The Historical Blogging , Travels of Patriarchs Dionysius Al-Telmhri, as A Sample.

DR: Wafaa Mokhtar Ghazaly Ali
Professor of Medieval History,Faculty of Humanistic Studies,Al Azhar University,Cairo.

Abstract

The Syrians emerged in The Historical Blogging, they recorded the Biography of their martyrs and various Historical Events and they recorded History of Arab in the Pre-Islamic era, and Islamic conquests, Syriac Historical Works are very important to study the History, because it is for witnesses eye, have participated .

The Syriac Historian Dionysius Al-Telmhri is considering one of the Syrian Historians in the ninth Century A.D.,The Third Century AH., He had a great role in the Historical Blogging, He made five travels to the Abbasid Caliphs in his time , his travels are recording for an important period of History , He was witness many Historical events and participant in it .

Key Words: The Historical Blogging between The Syrians , Travels of Patriarchs Dionysius Al-Telmhri , Relationship between The Muslims and Syrians ,History of The Church of Antioch in The Ninth Century AD, Relationship between The Church of Alexandria and Antioch.

دور السريان فى التدوين التاريخي ، رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري (٨١٨ - ٨٤٥ م / ٢٠٣ – ٥٢٣١) إنموذجاً

مقدمة :

ينتمى السريان إلى الآراميين ، وهم شعب سامى خرج من شبه الجزيرة العربية فى فترات من القحط بالغة الخطورة مندفعاً نحو الشمال وهبط سوريا وفلسطين واستقر فيها حوالى عام ١٥٠٠ ق.م ، وأغار على الجزيرة الفراتية وبلاد ما بين النهرين ، وعندما أعتنق السريان المسيحية استخدموا السريانية لغة إديسا (الرها) فى الكنيسة فى صلواتهم وطقوسهم وكتاباتهم الرسمية ، ونبذوا اسم الآراميين الذى يرتبط عندهم بالوثنية ، وتسموا بالسوريين نسبة إلى الوطن ، وبالسريان نسبة إلى اللغة [١] ، ومن الجدير بالذكر أن المؤرخين العرب القدماء أطلقوا لفظ السريان والسريانية دون تحديد [٢].

---

(١) رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري : جمعها وحققها تيسير خلف ، ط١ ، دار السويدى ، الإمارات العربية المتحدة ، ٢٠١٤ م ، صـ ١٢٣ ـ ١٢٥ ، فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ج١ ، ترجمة جورج حداد ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٨ م ، صـ ١٧٤ ـ ١٧٩ ، جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج ٣ ، ط١، مكتبة النهضة ، بيروت ١٩٦٩ م صـ ٥ ـ ١١ ، الشحات السيد زغلول : السريان والحضارة الإسلامية ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٥ م ، صـ ٢٠ ـ ٣٤ ،

(٢) ذكر المسعودي " فمن الناس من رأى أن السريانيين هم النبط ..... " وقال فى موضع آخر " وكان أهل نينوى ممن سمينا نبيطاً وسريانيين ، والجنس واحد واللغة واحدة ، وإنما بان النبط عنهم بأحرف يسيرة فى لغتهم ، والمقالة واحدة " =

كانت السريانية لغة أهل العراق وجزيرة ما بين النهرين وبلاد الشام وتغلغلت حتى قلب بلاد فارس ، بل انتشرت بين الأمم المختلفة المجاورة للسريان ، وظلت اللغة الرسمية للدول التى ملكت بلاد الشرق الأدنى ، وامتدت إلى مصر وأسيا الصغرى وشمال بلاد العرب حتى أواخر القرن السابع الميلادى ، وبداية القرن الثامن ، عندما بدأت اللغة العربية تنتشر بين هذه الشعوب نتيجة للفتوحات الإسلامية فتقلصت السريانية على أثر ذلك (١) .

بدأ السريان التدوين التاريخى فى القرن الثالث الميلادى على أثر حوادث الاضطهاد التى عاناها المسيحيون تحت حكم الفرس والروم ، فقاموا بتدوين سير شهدائهم والأحداث التاريخية المختلفة التى مرت بهم، حتى كان القرن السادس الميلادى أو قبله بقليل فبدأت حولياتهم التاريخية فى الظهور إلى جانب ما كانوا يسطرونه من سير القديسيين والشهداء ، بعدما حاكوا اليونان فى انشاء سجلات تاريخية لهم ، فأرخوا باللغة السريانية معتمدين على ما كتبه السابقون والتذييل عليه من قبل المؤرخ الذى يدون تاريخ ما شاهده من أحداث عصره ، وعلى هذا النهج

=

ويفهم من ذلك أن المسعودي لم يكن على علم واضح بأصل السريان وأهل نينوى ، فجعلهم من السريان ومن النبط . أنظر : المسعودى ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج١، اعتنى به وراجعه كمال مرعى ، ط١ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ٢٠٠٥ م صـ١٥٨،١٦٣.

(١) أغناطيوس افرام برصوم : اللؤلؤ المنثور فى تاريخ العلوم والآداب السريانية ، سلسلة التراث السريانى ، ط ٥ ، حلب ، ١٩٨٧ م ، صـ ١٥ ـ ١٦.

سار السريان الذين عرفوا بولعهم فى التدوين التـــاريخى [١] ، وســـبقوا العرب فى هذا المجال ، فالمعروف أن العرب بدأوا فى تدوين تـــاريخهم عن طريق المشافهة ، وكان ذلك دأبهم فى استقاء جميع علومهم[٢] .

برز السريان فى التدوين التاريخى ، فدونوا تاريخ العرب فى العصر الجاهلى ، ولما فتح المسلمون بلاد السريان فى منتصف القرن الســـابع الميلادى تقريباً كان السريان قد رسخت أقدامهم وأصبح لهم باع طويـــل فى التدوين التاريخى ، فسجلوا أحداث الفتوحات الإسلامية وما ارتبط بها من أحداث إبان وقوعها ، كما كان شأنهم قبل هذا العصـــر ، مســـتغلين الميزة التى توفرت لهم كونهم شهود عيان ومشاركين فى هذه الأحـــداث التاريخية المهمة [٣].

---

(١) ديونيسيوس التلمحري : تاريخ الأزمان ، ترجمة وتقديم شادية توفيق حـــافظ ، ط١، المركز القومى للترجمة ، القاهرة ، ٢٠٠٨ م ، صـــ ١٠ ، نينا فكتورفنـــا بيغوليفسكيا : ثقافة السريان فى القرون الوسطى ، ترجمة خلف الجراد ، معهـــد الإستشراق التـــابع للأكاديميـــة الســـوفيتية، موســـكو، دار العلـــم ،١٩٧٩ م ، صـــ٢٧٣ ــ ٢٧٤ ، صـــ٣٣١.

يوحنا الآسيوى : تاريخ الكنيسة ، الكتاب الثالث ، ترجمـــة صـــلاح محجـــوب ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٠ م ، مقدمة المترجم صـــ٥ .

(٢) حسين نصار : نشأة التدوين التاريخى عند العرب، ط ٢ ، منشـــورات إقـــرأ ، بيروت، ١٩٨٠ م ، ١١ ــ ١٣.

(٣) ديونيسيوس التلمحري : تاريخ الأزمان ، صـــ ١٠ ، سهيل ذكار : الموســـوعة الشامية ، ج ٥ ، المصادر السريانية ، دمشق ، ١٩٩٥ م ، صـــ ١٠ ، تيســـير خلف : الرواية السريانية للفتوحات الإسلامية ، مؤسســـة الثقافـــة ، دمشـــق ، ٢٠١٠ م ، صـــ ٥ ــ ٦ .

=

حظى السريان بمكانة مهمة لدى الخلفاء المسلمين ، فكانو يمثلون الطبقة المتعلمة فى المجتمع ، فكان لهم دور بارز فى حقول العلم والأدب، ولهم نشاط فاعل فى ترجمة ونقل تراث الحضارات السابقة إلى الحضارة الإسلامية الناشئة ، فتركوا إرثاً متنوعاً من الكتابات التاريخية ، شمل القصص التاريخى ، وسير القدسيين والشهداء ، والتواريخ المدنية والكنسية ، وتأريخ تأسيس المدارس العلمية ، والدينية والأديرة ، فكانت كتاباتهم ذات أهمية حقيقية ، استطاع المسلمون من خلالها ، أن يرثوا بعد وقت قصير حضارة الشعوب العريقة التى تغلبوا عليها ، واستقروا فى عقر دارها [1].

تحظى المصادر السريانية بأهمية كبيرة ، لأن روايتها قد دونت بيد معاصرين ، فلم يكن العرب غرباء بالنسبة لهم ، بل كانوا شعباً معروفاً لديهم معرفة جيدة ، وتربطهم بهم رابطة الجوار ، وفوق ذلك فقد وجدت صلة رحم بين اللغتين ، مما أعان على إيجاد اتصال مستمر مع

=

لم يعط العرب تاريخهم فى الجاهلية الأهمية التى يستحقها ، وربما تكون علة ذلك أنهم حين اعتنقوا الإسلام أرادوا أن يمحو مفاخر الجاهلية ليقيموا مجد الإسلام مكانها ، كما أن اعتمادهم على المشافهة فى نقل الأخبار وتأخر التدوين فتح كثيراً من الثغرات فى الرواية مما كان له أسوء الأثر فى إشاعة المبالغات فى أخبار العرب قبل الإسلام . الشحات زغلول : السريان والحضارة الإسلامية ، صـ ٩١ .

(١) سيغال : الرها المدينة المباركة ، ترجمة يوسف جبرا ، دار الرها ، حلب ، ط١ ، ١٩٨٨م ، صـ ٢٥٩ ـ ٢٦٠ يوحنا الآسيوى : تاريخ الكنيسة ، صـ٥، فيليب حتي ، موجز تاريخ العرب ، دار العلم ، بيروت ، ١٩٩١ م ، صـ ١٠٦ ـ ١٠٧ ، صـ ١٢٢ ، عزيز سوريال عطية : تاريخ المسيحية الشرقية ، ترجمة إسحاق عبيد ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٥م ، صـ٢٤٢.

العرب[١].

لا يخفى على المهتمين بدراسة التاريخ أن ما كتبه المؤرخون غير المسلمين عن التاريخ الإسلامى يضيف إليه وجهات النظر المختلفة ، ويثرى البحث التاريخى ، فلا يمكن أن نتجاهل ما كتبته هذه الشعوب الأخرى التى خالطت الشعوب الإسلامية وشاركتها أحداثها , وكانت جزءًا من النسيج السكانى لهذه المنطقة ، له خصوصيته الحضارية من لغة ودين ، فقد ألقت مدوناتهم الضوء على تاريخ تلك المنطقة من وجهة نظر أخرى تختلف عما دونه المؤرخون المسلمون[٢].

من هنا تأتى أهمية المصادر السريانية التى تعد ثروة حقيقية لأى باحث يدرس التاريخ بصفة عامة وتاريخ العرب بصفة خاصة ، فهى تحظى بقدر كبير من المصداقية كونها وليدة زمان الحدث التاريخى ومكانه، فقد توفر للسريان أكثر من مؤرخ معاصر للأحداث التاريخية ، وجرى الحفاظ عليها بالتدوين ، ولقد شكلت الرواية السريانية مصدراً مهماً للكثير من المؤرخين العرب اللاحقين [٣].

---

(١) نينا فكتورفنا بيغوليفسكيا : العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادى ، نقله من الروسية صلاح الدين هاشم ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، ١٩٨٥م ، صـ٢٢-٢٣.

(٢) ابن العبري : تاريخ الزمان ، صـ ١٤ ـ ١٥ ، مهدى صالح سليفاني : الأيوبيون فى كتابات المؤرخين السريان ، أربيل ، ٢٠١٢ ، صـ ١٠ ، سهيل ذكار : الموسوعية الشامية ، المصادر السريانية ، صـ ٤ ـ ١٠ .

(٣) تيسير خلف : الرواية السريانية للفتوحات الإسلامية ، صـ ١٥.

أهمية دراسة رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري :

ينفرد النص الذى تركه البطريرك السريانى ديونيسيوس التلمحري المعاصر لأربعة من الخلفاء العباسيين وهم هارون الرشيد (١٧٠ــ١٩٣ه/٧٨٦ــ٨٠٩م) ، ومحمد الأمين (١٩٣ــ ١٩٨ه/٨٠٩ ــ٨١٣ م) ، وعبدالله المأمون (١٩٨ــ ٢١٨ ه/ ٨١٣ ــ ٨٣٣ م) ، وأبى إسحاق المعتصم (٢١٨ ــ ٢٢٧ه/ ٨٣٣ ــ ٨٤٢ م) بأنه الشهادة المعاصرة الوحيدة على الكثير من الوقائع التاريخية الرئيسية التى دونت وقائعها فى كتب التاريخ العربية نقلاً عن روايات شفهية بعد عقود طويلة ، وينفرد بالتفصيل والتوضيح لكثير من الأمور الغامضة والأسباب المحركة للوقائع التاريخية فى العصر العباسى الأول التى أغفلتها كتب التاريخ العربية [١] ، أو ذكرتها مقتضبة ومختزلة أحياناً ، أو متناقضة أحياناً أخرى بسبب اعتمادها على الرواية الشفهية مما سهل الاضافة والاختزال أو بسبب تداخل الإتجاهات السياسية أو الدينية لدى بعض المؤرخين [٢] .

قام البطريرك بثلاث رحلات إلى بغداد ورحلتين إلى مصر دون وقائعها بشكل مفصل ، وقد ترك لنا صورة حية فى غاية البراعة والصدق لعدد من الشخصيات المؤثرة فى حركة التاريخ ، فقد كان البطريرك التلمحرى على صلة وثيقة بالخليفتين المأمون والمعتصم والأمير عبدالله بن طاهر(٧٩٨- ٨٤٤ م)، وبالحكام والقادة العسكريين

(١) تيسير خلف : الرواية السريانية للفتوحات الإسلامية ، صـ ٥ ــ ٧ .

(٢) سيدة إسماعيل الكاشف : مصادر التاريخ الإسلامي ، دار الرائد العربى، بيروت ،١٩٨٣م، صـ ٦٧ ــ ٦٨ .

التابعيين للعباسيين ، وذلك بحكم موقعه كراعى للكنيسة السريانية ومسؤولًا عن المسيحيين فى بلاد ما بين النهريين والشام ، فكانت رحلاته على جانب كبير من الأهمية التاريخية ، لأنها شهادته الشخصية على أحداث عصره ، وامتازت بعدد من المزايا الخاصة التى جعلتها من أرفع النصوص السريانية ، وأكثرها صدقاً ، ويمدنا البطريرك فى هذه الرحلات بمعلومات مهمة عن أوضاع الخلافة العباسية ومقوماتها ، وتنطوى رحلات البطريرك ومذكراته على الكثير من المعطيات حول الخلافة وآليات الحكم فيها والثورات التى اجتاحتها فى ظل الخليفتين المأمون والمعتصم ، كما يورد أخباراً عن الامبراطورية البيزنطية وعلاقتها بالخلافة العباسية ، كما يورد معلومات جديدة عن ثورات القبط البيامين[١] فى مصر ، وعن أوضاعها السياسية والاقتصادية والإجتماعية، وعن الكنيسة السريانية والإنشقاقات بداخلها وعلاقتها بكنيسة الأقباط فى مصر ، وأوضاع المسيحيين فى ظل الخلافة العباسية ، وينفرد ديونيسيوس بذكر تفاصيل فى غاية الأهمية عن علاقة الخلافة العباسية بملوك النوبة المسيحيين ، والعلاقات السياسية والدبلوماسية بين البلدين.

مما سبق تضح أهمية دراسة موضوع هذه الرحلات لاستخلاص

---

(١) البياما أو البيامى هى لفظة قبطية وتعني أربعين ، وذلك أن الروم عندما خرجوا من مصر بعد دخول المسلمين فاتحين لها ، تخلف منهم أربعين رجلاً ، فتناسلوا وكثروا بأسفل الأرض فسموا البياما أى نسل الأربعين . أفتيشيوس المكنى بسعيد ابن البطريق : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، بيروت، ١٩٠٩ م ، صـ ٥٧ .

المادة التاريخية من ثنايا السطور التى خطها البطريرك بيده وعايشها لحظة بلحظة ودون وقائعها لتصبح شهادته أمام التاريخ ، ولإثراء تاريخنا من خلال وجهة نظر أخرى ، تختلف عما دونه المسلمون.

نبذة عن المؤرخ ومؤلفه ومصادره وأسلوبه :

يعتبر ديونيسيوس التلمحري من أشهر مؤرخي القرن التاسع الميلادى/ الثالث الهجرى ، والرائد الأول لسلسلة الكتاب اليعاقبة [١] فى هذا العصر ، وقد ولد البطريرك فى بلدة تلمحرة أو تلمهرة [٢] ، من

---

(١) اليعاقبة هم أتباع ديسقورس الأول بطريرك الإسكندرية (٤٤٤-٤٥٤ م) القائل بالطبيعة الواحدة للمسيح (عليه السلام) ، ويعرف أتباعه أيضاً باسم المونوفيزيين Monophysite وينسب اليعاقبة إلى يعقوب البرادعى أسقف الرها (٥٤٣ ــ ٥٧٨م)، أحد زعمائهم وكان سريان الغرب يعرفوا باليعاقبة، واعتنق الأقباط والأرمن هذا المذهب ، وكرسي اليعاقبة بمدينة أنطاكية . المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ١ ، صـ ٢٤٥ ، نينا بيغو ليفسكايا ، ثقافة السريان فى القرون الوسطى ، صـ ٣٢٤ ـــ ٣٢٥ ، قاسم عبده قاسم : أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى ، دراسة وثائقية ، ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩ م ، صـ ١٠٦ .

(٢) تلمحرة : هى إحدى قرى العراق، بين حصن مسلمة بن عبدالملك والرقة ، بالقرب من نهر بلخ أحد روافد نهر الفرات . ديونيسيوس التلمحري : تاريخ الأزمان ، صـ١١ ــ ١٢ ، مراد كامل وآخرون : تاريخ الأدب السريانى من نشأته إلى العاصر الحاضر ، دار الثقافة للنشر ، القاهرة ، ١٩٨٧ م ، صـ ٣٠٩ .

أعمال الرها، عاصمة السريان الثقافية والحضارية [١] ، التحق ديونيسيوس بدير قنسرين [٢] الذى كان فى ذلك الوقت مركز إشعاع للثقافة اليونانية ، وفى عام ٨١٥ م / ٢٠٠ه احترق الدير فاتجه إلى دير مار[٣] يعقوب فى كيسوم بين حلب والرها فى مقاطعة سميساط ، حيث أتم فيه دراسته العلمية ونال شهرة واسعة ووهب نفسه للدراسات التاريخية ، وفي عام ٨١٨م/٢٠٣ه نصب بطريركاً على أنطاكية[٤]،

(١) الرها مدينة كبيرة تقع فى إقليم الجزيرة على الجانب الشرقى من نهر الفرات كان أغلب سكانها من النصارى وبها عدد كبير من الكنائس والأديرة ، فهى من أقدم المراكز المسيحية فى ما بين النهرين ، كما كانت مهد الأدب السريانى ، ويرجح أن الترجمات الرئيسية للتوراة السريانية قد وضعت هناك فى أواخر القرن الثانى الميلادى . الأصطرخى : المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر الحينى ، دار القلم، القاهرة ، ١٩٦١م ، صـ ٥٤ ، فيليب حتي : تاريخ سوريه ولبنان وفلسطين ، ج ١ ، صـ ٣٧١ .

(٢) يقع دير قنسرين على ضفة الفرات الشرقية غربى مدينة حلب ، أنشىء فى حوالى عام ٥٣٠ م ، اشتهر بالعلم وكان أكبر مدرسة لاهوتية علمية حتى أوائل القرن التاسع الميلادى ، تعرض للحريق فى عهد ديونيسيوس ثم أستؤنف نشاطه بعد ذلك . أغناطيوس برصوم : الؤلؤ المنثور فى تاريخ العلوم والآداب السريانية ، صـ٢٠

(٣) مار : كلمة سريانية تعنى السيد ، وهى لفظة تكريمية تستخدم فى الكنائس السريانية قبل أسماء القديسين والأساقفة . اليسوعى : معجم الإيمان المسيحى ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٩٨م ، صـ ٤٢٣.

(٤) تاريخ الزوقنيني المنحول لديونيسيوس التلمحري : نقله للعربية بطرس قاشا ، منشورات المكتبة البولسية ، ٢٠٠٦م ، صـ ٢٣ ، انتشر السريان فى سوريا وما بين النهرين والعراق والجزيرة الفراتية بأعداد كبيرة وكانت بطريركية =

واستمر فى هذا المنصب مدة سبعة وعشرين عاماً ، حتى توفى فى٢٢ أغسطس عام٨٤٥م /٢٣١ه بعد أن أمضى حياته محاولاً توحيد الكنيسة السريانية والقضاء على الخلافات بها ، ودفن فى دير قنسرين [١].

وضع ديونيسيوس مؤلفه " تاريخ الأزمان " باللغة السريانية ، واشتمل على ستة عشر كتاباً فى جزئين وكل جزء مقسم إلى عدد من الفصول ، ويتضمن تاريخ مائتين واثنتين وستين سنة ، بدءًا من حكم الامبراطور البيزنطى موريس عام ٥٨١م وحتى سنة ٨٤٣م/٢٢٩هـ[٢]، وهى سنة وفاة الخليفة المعتصم والامبراطور البيزنطى ثيوفيل (٨٢٩ ــ

=

أنطاكية ذات مكانة كبيرة بين غيرها من سائر الفرق النصرانية ، وكان عدد أساقفة السريان فى تلك الحقبة يصل إلى مائة وستين أسقفاً يخضعون لبطريرك أنطاكية ولمفريان الشرق التابع له ، وكان لكل أسقف أبروشية خاصة برعايته ، وقد رسم ديونيسيوس مائة أسقف ذكرهم ميخائيل الكبير فى تاريخه وعقد ثلاثة مجامع وسن اثنا عشر قانوناً فى مجمع الرقة فور تكريسه عام ٨١٨م. تاريخ مار ميخائيل الكبير ، ج ٣ ، ترجمة مار غريغوريوس صليبا شمعون ، دار ماردين، حلب ، ط١، ١٩٩٦م ، صـ ٤١٤ ــ ٤١٨ .

(١) تاريخ مار ميخائيل الكبير ، ج٣، صـ ٤١٤، مراد كامل : تاريخ الأدب السرياني ، صـ٣٠٩ ــ ٣١٠.

(٢) أغناطيوس برصوم : الؤلؤ المنثور فى تاريخ العلوم والآداب السريانية ، صـ٣٣٨ ــ ٣٤٠، ترد الوقائع مؤرخة بالتاريخ اليونانى عند المؤرخين السريان ، ويسمى تقويم الإسكندر أو التقويم اليونانى أو تاريخ ذى القرنيين ، ويبدأ يوم الإثنين الأول من تشرين الأول(أكتوبر) ، سنة ٣١٢ ق.م، فهو متقدم على التاريخ الميلادى ٣١١سنة وثلاثة أشهر . تيسير خلف : الرواية السريانية، صـ ٨.

٨٤٣ م) ، وقد ألف ديونيسيوس مؤلفه بناء على رغبة إيوانيس ، مطران دارا التى تقع بين نصبين وماردين [١]، ويؤكد ديونيسيوس فى مقدمته على أنه ذيل على تاريخ قورا البطناني [٢].

ضمن البطريرك ديونيسيوس التلمحري رحلاته فى هذا المؤلف " تاريخ الأزمان " ولكنه أفرد لها مكاناً مميزاً ومقدمة خاصة وخاتمة مناسبة ، أوضح فيها حيثيات كتابته لهذه الرحلات المتعلقة بتجربته الشخصية ، وقد استوعب المؤرخ ميخائيل الكبير هذا المؤلف واقتبس أغلبه وأورده ضمن تأريخه بما فيه المقدمة وأشار إلى اعتماده عليه كمصدر له فى كتابه المعروف بكتاب مار ميخائيل الكبير [٣].

---

(١) تاريخ مار ميخائيل الكبير : ج٣، صـ ٧٨، إيوانيس من العلماء واللاهوتين المشهورين ، كان راهباً فى دير مار حنانيا بالقرب من ماردين ، رسمه البطريرك التلمحرى مطراناً لدارا ، واستمر فى منصبه حتى وفاته عام ٨٦٠ م ، وهو الذى حث البطريرك على تدوين التاريخ ، وذكر التلمحري ذلك فى مقدمة كتابه . أغناطيوس برصوم : الؤلؤ المنثور فى تاريخ العلوم والآداب السريانية ، صـ٣٤٣.

(٢) تاريخ مار ميخائيل الكبير ، ج٣ ، صـ ٣ ، تيسير خلف : الرواية السريانية ، صـ ١٦ ، قورا قسيس سروج أو بطنان المدينة المجاورة لسروج ، كتب تاريخاً دينياً مدنياً للأحداث من سنة ٥٦٥ ــ ٥٨٨ م فى أربع عشرة مقالة وهو مفقود الآن. أغناطيوس برصوم : اللؤلؤ المنثور، صـ ١٢٩، صـ ٢٦٣ ــ ٢٦٤ .

(١) ولد ميخائيل السرياني الكبير فى عام ١١٢٦ م فى ملطية ، والتحق بالسلك الرهبانى فى دير برسومة بالقرب من موطنه الأصلى ، ثم انتخب بطريركاً يعقوبياً لأنطاكية فى عام ١١٦٦ م ، كتب تاريخاً عاماً من بداية الخليقة حتى عام ١١٩٦ م ، اعتمد فيه على مجموعة كبيرة من المصادر المعروفة من =

استقى المؤرخ السريانى ديونيسيوس مادته التاريخية عن العصور المتقدمة من المصادر المدونة لمؤرخين سابقين له إما نقلاً أو تلخيصاً أو اقتباساً وذلك كغيره من المؤرخين [١]، كما اعتمد على مجموعة كبيرة من الوثائق الكنسية التى أتيحت له بحكم منصبه أهمها كتابات يوسابيوس القيصرى[٢] Eusebius of Caesarea (٢٦٥ – ٣٤٠م)

=

أهمها تاريخ ديونيسيوس التلمحري الذى فقد معظمه ولم يبق منه إلا ما تضمنه ميخائيل فى تاريخه وحافظ عليه ، ويذكر ميخائيل اسم ديونيسيوس كثيراً فى مؤلفه وينقل عنه ، وتوفى ميخائيل فى عام ١١٩٩ م . تاريخ مار ميخائيل الكبير ، ج ٢ ، صـ١٠،ج٣ ، صـ ٧٩ ، أغناطيوس برصوم : اللؤلؤ المنثور ، صـ ١٣٠، ٣٩٤ ـ ٣٩٧ ، عزيز سوريال عطية : تاريخ المسيحية الشرقية ، صـ ٢٤٥ـ ٢٤٦.

(٢) يذكر ديونيسيوس التلمحري مصادره التى اعتمد عليها . أنظر تاريخ الأزمان ، صـ ١٥ ـ ١٦ ، مراد كامل ، تاريخ الأدب السريانى ، صـ ٣١٠ ـ ٣١١ . وأشار التلمحري إلى اعتماده على تاريخ سرجي بن إيوانيس وهو من المؤرخين السريان المعاصرين للفتوحات الإسلامية ، وكان أبوه يحتل موقعاً بارزاً فى قيادة الجيوش البيزنطية، ومما لاشك فيه أن هذا المؤرخ قد توافرت له مصادر مهمة عن سير المعارك استقى أخبارها من جنود سريان شاركوا فى الجيوش البيزنطية ، وهذا يعطى لمؤلفه أهمية خاصة ، تيسير خلف : الرواية السريانية ، صـ ٧٣ ـ ٧٤ .

(١) يوسابيوس القيصري يعرف أيضاً بيوسابيوس بامفيليوس Eusebius Pamphili هو أسقف قيصرية بفلسطين من عام ٣١٣ م ، ارتبط بعلاقة صداقة مع الامبراطور البيزنطى قسطنطين الكبير (٣٢٤ ـ ٣٣٧م) ، ذاع صيت يوسابيوس كمجادل لاهوتى ومؤرخ كنسى ، حتى أطلق عليه أب التاريخ =

ويوحنا الأفسسى [١] (٥٠٥ – ٥٨٦ م) ، كما اعتمد على التاريخ الكنسى لسقراط ، وغير ذلك من المؤرخين القدماء ، كما اعتمد بشكل كبير على التاريخ الذى وضعه المؤرخ سرجى بن ايوانيس رصيفا (يوحنا الرصافى) القائد السرياني فى الجيش البيزنطي المعاصر للفتوحات الإسلامية ، ولم يكن هذا المؤرخ بعيداً زمنياً عن ديونيسيوس كما كانت تربطهما صلة قرابة[٢] .

عندما وصل ديونيسيوس إلى الكتابة عن أحداث عصره اعتمد على

=

الكنسى، ترك العديد من المؤلفات أهمها التاريخ الكنسى ، وحياة قسطنطين ، والأخير توثيق ومدح لحياة الامبراطور وأعماله ، ويعد التاريخ الكنسى ليوسابيوس أول عمل تاريخى تأسست عليه مدرسة المؤرخين الكنسيين فى العالم كله ، لأنه أصبح مصدراً حياً يرجع إليه المؤرخون ليقفوا على أعماق التاريخ ومفاهيمه ، توفى فيما بين عامى ٣٣٩ ــ ٣٤٠ .عنه أنظر : العلامة يوسابيوس القيصرى ، ترجمة أنطوان فهمى جورج ، علم الباترولوجى ، سلسلة آباء الكنيسة ، ١٩٩٢ م ، صـ ٦ ــ ٣٦ .

(١) ولد يوحنا المعروف بالأفسسى حوالى عام ٥٠٧ م فى بلدة تابعة لولاية آمد ، وفى عام ٥٥٨م رسمه يعقوب البرادعى مطراناً لأفسس ، فنسب إليها ، كتب "التاريخ الكنسى " وهو أقدم تاريخ سريانى ، دون فى ثلاثة مجلدات ، الأول والثانى من أيام يوليوس قيصر إلى عام ٥٧٢ م والثالث حتى عام ٥٨٥ م ، والأول مفقود والثانى بقى منه شذرات ، والثالث محفوظ لا ينقصه إلا صفحات قليلة. أغناطيوس برصوم : اللؤلؤ المنثور صـ ١٢٧ــ ١٢٨، صـ ٢٦٤ ــ ٢٦٥.

(٢) تيسير خلف : الرواية السريانية للفتوحات الإسلامية ، صـ ١٦ ــ ١٧ ، صـ ٧٣ ــ ٧٤ .

ما عاينه وشاهده أو قام به من رحلات ، فكانت كتابته صوره حية للعصر الذى عاشه ودون وقائعه ، ولم يعتمد فقط على الأحداث السياسية ، بل ربطها بغيرها من الموضوعات الكنسية والإجتماعية ، لذلك يعتبر مؤلفه من أوثق المصادر التاريخية وأكثرها مصداقية لأنه شاهد عيان على تلك الأحداث ، واعتمد عليه كثير من المؤرخين اللاحقين(١).

استخدم البطريرك التلمحري أسلوباً بسيطاً اتسم بالعمق فى معرفة مجريات الأحداث، وابتعد عن الدخيل والأعجمى من الألفاظ ، لذلك يعتبر ديونيسيوس من بلغاء عصره حتى أطلق عليه حكيم القرن التاسع الميلادى (٢) ، اعتمد على الوصف الدقيق لما رآه فى رحلاته من الشخصيات المختلفة والأماكن التى زارها والمعالم التى ذكرها ، فنجده يقدم وصفاً فى غاية البراعة وصورة نابضة بالحياة تعكس ثقافته الرفيعة، ويعتمد فى صياغته على ضمير المتكلم والتجربة الشخصية ، وهى الصيغة التى يعتمدها الرحالة فى كتاباتهم ، وكغيره من رجال الدين يربط ديونيسيوس بين الأسباب والمسببات فيعتبر ما يعانيه المسيحيون من مصائب ما هو إلا جراء بعدهم عن الله وانغماسهم فى المعاصى والآثام مما أدى بهم إلى الانشقاق والإنقسام .

يذكر ديونيسيوس التلمحري أسلوبه فى الكتابة فيقول " ولقد سلكنا

---

(١) ديونيسيوس التلمحري : تاريخ الأزمان ، صـ ٩ ، ابن العبرى : تاريخ الزمان ، نقله إلى العربية إسحاق أرملة ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٩١م ، صـ ١٣ ـ ١٤، عزيز سوريال عطية : تاريخ المسيحية ، صـ٥٩٤.

(٢) تاريخ الزوقنيني ، صـ ٧، إيريس المصرى : قصة الكنيسة ، الكتاب الثانى ، ط ٨ ،٢٠٠٦م ، صـ ٣٧٥.

نهجاً منظماً فى جمع المعلومات وتنسيقها فى كتاب واحد ، سواء تلك التى استقيناها من المعمرين الذين كانوا شهود عيان أو التى عاصرنا أحداثها بأنفسنا " [١] ، كما يقول :" لقد التزمت جانب الشجاعة والجرأة فى كتابتى للأحداث ، من بداية هذا الكتاب حتى الآن ، فلم أمتدح أو أذم أحداً بدافع المحاباة والانحياز " [٢].

(١) تاريخ الأزمان ، صـ ١٦ .

(٢) تاريخ مار ميخائيل الكبير ، ج٣ ، صـ ٣ .

الرحلة الأولى إلى بغداد :

دواعى الرحلة : بدأ البطريرك التلمحري أولى رحلاته إلى بغداد عبر بلاد الجزيرة عام ٨٢٠ م / ٢٠٥ ه ، بصحبة الأساقفة للحصول من الخليفة المأمون على فرمان اعتراف بسلطته الكنسيه أسوة بأسلافه [١].

حصل البطريرك على الفرمان بمسعى الأمير طاهر بن الحسين الخزاعى [٢]، حاكم منطقة ما بين النهرين ، ويذكر التلمحرى أن هذا الأمير يكن للمسيحيين احتراماً ومحبة خاصين ، وبعد ذلك كان البطريرك يود التوجه إلى تكريت [٣] ، غير أنه بسبب تمرد أسقفها عرج على

---

(١) تاريخ مار ميخائيل الكبير ، ج٣ ، صـ ٩.

(٢) هو طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق الخزاعى ، ولد عام ١٥٩ ه / ٧٧٥ م ، أحد أشهر قواد الخليفة المأمون ، كان يعرف بذى اليمينين ، أرسله المأمون لمحاربة أخيه الأمين لما خلع بيعته ، فتقدم طاهر إلى بغداد وحاصرها وقتل الأمين عام ١٩٨ ه / ٨١٣ م ، وحمل رأسه إلى خرسان وعقد للمأمون على الخلافة ، فقام المأمون بتوليته على خرسان عام ٢٠٥ ه / ٨٢٠ م ، واسس هناك الدولة الطاهرية ، كما ولاه على منطقة الجزيرة وما بين النهرين ، توفى فى ٢٠٧ ه / ٨٢٢ م . الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، نسخه تامة ، اعتنى به أبوصيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية ، د. ت، صـ١٧٧٢، فاروق عمر فوزى : الخلافة العباسية ، عصر القوة والازدهار ، ج١، دار الشروق ، الأردن ، ٢٠٠٩م ، صـ٢٣٣ .

(٣) تقع تكريت فى العراق شمال غرب بغداد على نهر دجلة ، وهى مركز الإقليم الشرقى من كنيسة السريان الغربية ، ورتبة أسقفها مفريان الشرق ، وأول من حصل على هذا اللقب هو ماروثا التكريتى المتوفى عام ٦٤٩ م . نينا بيغو ليفسكايا : ثقافة السريان فى القرون الوسطى ، صـ ٦٣ .

الموصل وزار بعض المدن الأخرى التابعة للبطريركية للوقوف على شئون رعاياه والاحتفال معهم بأعيادهم المقدسة ، ثم عاد إلى مقر إقامته فى دير قنسرين [١].

تعكس هذه الرحلة التى قام بها البطريرك بعض الأمور المهمة منها ، العلاقات ما بين المسلمين والسريان ، فقد حظى السريان بالثقة والاحترام لدى الخلفاء المسلمين ولدى القادة العسكرين منذ الفتح الإسلامى ، بعد أن استقبل السريان المسلمين بوصفهم مخلصين لهم من وطأة الاضطهاد اليونانى [٢]، وقد وردت عبارات فى متن النصوص السريانية التى تتحدث عن الفتوحات الإسلامية المبكرة تقول " نشكر الله الذى خلصنا من حكم البيزنطيين الظالمين ، وجعلنا تحت حكم العرب المسلمين العادلين " ، كما أشارت الرويات السريانية بكثرة إلى عدل المسلمين ورحمتهم مقابل ما كانت ترتكبه الشعوب الفاتحة الأخرى استمرت هذه العلاقات الطيبة بين الجانبين منذ الفتح الإسلامى لبلاد السريان إلى ما بعد ذلك [٣] .

كان خليفة المسلمين يصدر فرماناً للبطريرك يخوله بموجبه الولاية على جميع الشئون البيعية فى البطريركية التابعة له ، وقد كتب الخليفة مروان الثانى بن محمد (١٢٧ــ ١٣٢هـ/٧٤٤ ــ٧٥٠م) فرماناً

(١) رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري ، صـ ٣٥ ــ ٣٦ .

(٢) أسد رستم : كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ، ج ٢ ، منشورات المكتبة البوليسية ، ١٩٨٨ م ، صـ٣٩ .

(٣) تيسير خلف : الرواية السريانية للفتوحات الإسلامية ، صـ ٧٨ــ ٧٩، عزيز سوريال ، تاريخ المسيحية ، ص٢٣٥.

لإيوانيس الرابع بطريرك السريان (٧٤٠ ــ ٧٥٥م) ، عام ١٢٩ه/ ٧٤٦ م ، خوله بموجبه الولاية على جميع الشؤون البيعية ، وهو أول فرمان أعطى لبطريرك سريانى من خليفة المسلمين ، واستمر هذا الأمر معمولاً به حتى عهد ديونيسيوس لذلك حذى التلمحرى حذو أسلافه للحصول على هذا الإقرار من خليفة المسلمين [١].

تعكس هذه الرحلة أيضاً بعض الأمور الخاصة بالإنقسامات بين صفوف السريان الشرقيين (النساطرة) [٢]، والسريان الغربيين (اليعاقبة)، وكان ذلك سبباً فى عدم تمكنه من زيارة تكريت ، فيذكر البطريرك" لقد كتب أهل تكريت لنا ونحن فى بغداد لكى نقضى العيد معهم

---

(١) تاريخ مار ميخائيل الكبير ، ج٢ ، صـ ٤٦٤ ، فيليب دى طرازي : عصر السريان الذهبى ، مؤسسة هنداوى ، القاهرة ، ٢٠١٣ م صـ ٣١ .

(٢) النساطرة ، يرجع أصحاب هذا المذهب إلى نسطوريوس راهب أنطاكية الذى أنتخب لكرسى القسطنطينية فى عام ٤٢٨ م ، ويقول بالطبيعتين للسيد المسيح ، الأولى بشرية ، والثانية لاهوتية ، وقد لاقى معارضة كبيرة ، وتم عقد مجمع دينى فى عام ٤٣٠ م ، تم فيه اعلان هرطقة نسطوريوس ، وحاول مجمع أفسس عام ٤٣٣م أن ينهى الخلافات التى سببتها أراء نسطوريوس ، والتوفيق بين المذاهب المسيحية المختلفة، وفى عام ٤٩٨ م ، طرد الامبراطور البيزنطى زينون النساطرة من الرها ، فهاجروا إلى فارس ، ومنذ ذلك الوقت انفصلت الكنيسة النسطورية عن الكنيسة البيزنطية التى كان مقرها الأساسى القسطنطينية. عن تفاصيل أكثر أنظر: جورج شحاته قنواني : المسيحية والحضارة العربية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، د.ت ، صـ ٢٨ ــ ٣٠ .

عزيز سوريال عطية : تاريخ المسيحية الشرقية ، صـ ٣٠٤ ــ ٣٠٦ .

، لمحبتهم لنا ، إلا أن أسقفهم باسيل الذى كان يبث ضدى سموم الحقد فيهم قائلاً لهم أن هذا البطريرك عدوكم ، وكان يزعم أن الأساقفة الذين برفقتى يريدوننى أن أعود بسرعة إلى بلادى ..... وكان يقول للأساقفة الشرقيين ، حتى متى نخضع لسيطرة الغربيين الذين يسلبوننا ما نجمعه من أموال ، ولا يعتبرون كرسينا مثل كرسى مصر مساوياً لهم فى الرتبة ؟ .... فلما عرفنا سوء نيته عرجنا على الموصل .... " [١]

شهد القرن السادس الميلادى مناقشات ومجادلات عقائدية حادة ما بين طوائف المسيحيين ، كان نتيجتها انقسامهم إلى فرق وطوائف عديدة، وقد كانت أنطاكية من أهم معاقل المسيحية الباكرة وعاصمة من عواصم المسيحية الشرقية ، وقد تفرع عنها المذهب المونوفيزتى القائل بالطبيعة الواحد للمسيح الذى اعتنقه اليعاقبة ، وامتد نفوذ بطريرك أنطاكية ليغطى مساحة واسعة شملت بلاد الجزيرة والشام وأسيا الصغرى وغيرها [٢] .

كانت مدينة تكريت تعد أحد أهم مراكز المسيحية فى الشرق كله ، ورتبة أسقفها هى أرفع الرتب إذ أنه مفريان[٣] الشرق كله ، وكانت أهم مركز للعرب المسيحيين حتى العصر العباسى، وكانت تكريت تقع فى

---

(١) رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري ، صـ ٣٥ ـ ٣٦ .

(٢) عزيز سوريال عطية : تاريخ المسيحية الشرقية ، صـ٢٠٧ . سيغال : الرها المدينة المباركة ، صـ ٢٥٥ـ ٢٥٧.

(٣) المفريان هى الرتبة الثانية فى الكنيسة السريانية وصاحبها يأتى مباشرة بعد البطريرك وله السلطة على مفريانته . المجلة البطريركية ، دمشق ، ١٩٨٣ م ، عدد ٣٥ ، صـ ٢١ .

نطاق السريان الشرقيين النساطرة ، ويخضع مطرانها لسلطة بطريرك أنطاكية من اليعاقبة ، ويقوم برسمه فى منصبه رغم الإختلاف المذهبى بينهما [١] .

وقد حددت الوثائق سلطات وواجبات بطريرك أنطاكية وتشمل تنظيم الشئون الداخلية لجماعته بما فى ذلك بيوعهم وفسوخهم ومواريثهم وأنكحتهم وفقاً لأحكام شريعتهم ، وتحديد مواعيد أعيادهم ومواسمهم بالإضافة إلى الإشراف على شئون الأديرة والكنائس ومن بها من الرهبان والأساقفة والقساوسة وغيرهم من رجال الدين المسيحيين [٢] .

يتضح من النص الذى أورده ديونيسيوس أن باسيل تمرد وانشق عليه وكان يحرض رعاياه على الخروج عن سلطة بطريرك أنطاكية متذرعاً ببعض الذرائع التى أوردها فى النص وكان أهمها الإختلاف المذهبى بين الطرفين فدخل فى نزاع مع أهل الموصل مما أدى إلى حدوث اعتداءات ونزاعات ، وصلت إلى حد الشكوى إلى الخليفة الذى كان يتدخل لفض النزاع بين المسيحيين وبعضهم [٣] .

---

(١) رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري ، صـ ٧٦ ـ ٧٧ ، جان فييه : أحوال النصارى فى خلافة بنى العباس، ترجمة حسنى زينه ، دار المشرق ، بيـروت ، ١٩٩٠م ، صـ ١١١ .

(٢) قاسم عبده قاسم : أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى ، صـ ١٠٦.

(٣) جان فييه : أحوال النصارى ، صـ٥٠ .

الرحلة الأولى إلى مصر عام ٨٢٥ م / ٢١٠ه :

دواعى الرحلة : مقابلة الأمير عبدالله بن طاهر والى مصر من قبل الخليفة المأمون للاحتجاج لديه على سياسة هدم الكنائس فى الرها ومنطقة الجزيرة والغرب [١].

عندما كان عبدالله بن طاهر حاكماً لمنطقة بين النهرين ومقيماً فى الرقة [٢]، توطدت العلاقات بينه وبين البطريرك التلمحرى خاصة ، وبينه وبين المسيحيين عامة ، فكان يعاملهم معاملة حسنة ، واستطاع التلمحري أن يحصل منه على موافقة بإعادة بناء دير قنسرين الذى احترق عام ٨١٥ م / ٢٠٠ه [٣]، ولم يتوان عبدالله بن طاهر عن التدخل لفض النزاعات بين المسلمين وبين المسيحيين، وبينهم وبين بعض ، فعندما تمرد أبيرام أحد المسيحيين على البطريرك وخرج عليه بسبب عبارة " الخبز المقدس " ، سأل عبدالله بن طاهر عن أسباب هذا الخلاف ، وعندما ثبت له تمرد أبيرام وأنه يريد أغتصاب البطريركية من ديونيسيوس، ردع أبيرام ونصر التلمحرى عليه [٤] .

كان عبدالله بن طاهر رجلاً متسامحاً محباً للمسيحيين ، فعندما طلب

---

(١) رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري ، صـ ٥٩ ـ ٦١ .

(٢) ولى المأمون عبدالله بن طاهر الرقة فى ٢٠٦ه / ٨٢١ م ، وعندما توفى أبوه طاهر بن الحسين فى ٢٠٧ه / ٨٢٢ م ولاه خراسان مع الجزيرة . تاريخ خليفة بن خياط ، صـ٤٧٢، الطبري ، تاريخ الأمم والملوك، صـ ١٧٩٦.

(٣) ديونيسيوس التلمحري ، تاريخ الأزمان ، صـ ١٢ .

(٤) رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري ، صـ ٤١ ـ ٤٣ ، تاريخ مار ميخائيل الكبير ، ج٢، صـ ٤٥٩ ، جان فييه ، أحوال النصارى ، صـ ١١٦ .

منه مسلمو حران والرها أن يهدم الكنائس التى بنيت حديثاً ويوقف قرع الأجراس رفض ذلك وأمر أن لا تمنع عنهم طقوسهم ، لذلك عاش المسيحيون فى ظله فى راحة وسلام [١].

انتقل عبدالله بن طاهر بعد ذلك إلى مصر[٢]، وأناب عنه أخاه محمد بن طاهر الذى لم يكن على شاكلة أخيه المحب للمسيحيين ، الراعى لمصالحهم ، بل تعدى على حقوقهم وأمر بهدم كنائسهم ، كما أقدم على تحويل بعض الكنائس إلى مساجد وزاد ضغطه على مسيحى الرها ومطرانهم ثاودوسيوس شقيق البطريرك التلمحرى ، عندما كتب له حاكم الرها يحرضه عليهم بسبب مشاكل المسيحيين وخلافاتهم [٣] ، فأصدر محمد بن طاهر أمراً بهدم الأبنية الكنسية الحديثة ، فهدمت كنيسة الأربعين شهيداً والقلاية الأسقفية ومخزن الكنيسة وجرن المعمودية والمنبر ، وغير ذلك من الأبنية التى أنشأها مطران الرها ، كما هدم دير

---

(١) سيغال ، الرها المدينة المباركة ، صـ ٢٤٥ .

(٢) أمر المأمون عبدالله بن طاهر بالتوجه إلى مصر والقضاء على عبيدالله بن السرى فى عام ٢١٠ه / ٨٢٥ م ، فدخل عبدالله بن طاهر الفسطاط ، وكان رجلاً خيراً رحيماً محباً للعدل فاستقامت له الأمور ، واستمر والياً على مصر حتى عزله المأمون فى ٢١٣ه / ٨٢٩ م. ابن طيفور، كتاب بغداد ، تحقيق محمد الكوثرى ، الثقافة الإسلامية ، ١٩٤٩ م ، صـ ٨١ ـ ٨٣ ، الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك، أحداث عام ٢١٠ ه ، صـ ١٨٠٨ ـ ١٨٠٩، تاريخ اليعقوبي ، ج٣ ، صـ ١٩٥، الكندي : الولاة وكتاب القضاة ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٨م ، صـ ١٨٠ ـ ١٨٤.

(٣) رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري ، صـ ٥٢ ، ٦٠ـ ٦١ ، سيغال : الرها المدينة المباركة ، صـ ٢٤٥.

للراهبات وكنيسة[١].

استاء المسيحيون من هذه السياسة التى تضر بمصالحهم ، لذلك قرروا اللجوء إلى الأمير عبدالله بن طاهر لتقديم الشكوى له ، فذهب البطريرك ديونيسيوس التلمحرى بطريرك أنطاكية بصحبة أخيه ثاودوسيوس مطران الرها والأساقفة ورجال الدين المسيحيين [٢].

خط سير الرحلة :

يصف البطريرك ذلك فيقول : " ركبنا السفينة من يافا ، أما ثاودوسيوس والآخرون فساروا بطريق البر ، وهاج البحر ، وأوشكت السفينة على الغرق ، بعد أن اشتدت العاصفة حتى قطعنا الرجاء من

---

(١) رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري ، صـ ٦٠ ـ ٦١، سيغال : الرها المدينة المباركة ، صـ ٢٤٠ ـ ٢٤٥.

اعتبر المسيحيون أن ما قام به المسلمون من هدم الأبنية الكنسية الحديثة غبناً لحق بهم ، وبالرجوع إلى الشروط التى سلم بها المسيحيون المسلمين بلادهم نجد أن المسلمين لم يخالفوها ، فقد ذكر البلاذرى " قال : لما فتح عياض بن غنم الرها، وكان أبو عبيدة وجهّه ، وقف على بابها ، على فرس ، ... ، فصالحوه على أن لهم هيكلهم وما حوله ، وعلى ألّا يحدثوا كنيسة إلا ما كان لهم ، وعلى معونة المسلمين على عدوهم ، فإن تركوا شيئاً مما شرط عليهم ، فلا ذمة لهم ، ودخل أهل الجزيرة فيما دخل فيه أهل الرها " . فتوح البلدان ، تحقيق عبدالله الطباع ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، ١٩٨٧م صـ ٢٣٦ ـ ٢٣٧ .

(٢) سيغال : الرها المدينة المباركة ، صـ ٢٤٥، عزيز سوريال عطية : تاريخ المسيحية، صـ٢٤١

الحياة ، وبعد يومين قذفنا إلى ميناء مدينة تنيس[١] ، حيث استقبلنا أكثر من ثلاث ربوات من سكانها ، ..... ، وصل أهل تنيس إلينا فى الزوارق ، واندفعوا لنيل البركة ، ومنذ الصباح وحتى المساء استطعنا بالكاد الوصول إلى حدود المدينة من شدة الازدحام ، حتى جاء جند من المدينة وفرقوا الشعب بالعصا ، وأخذونا إلى الكنيسة ، فزارنا يعقوب [٢] بابا الإسكندرية ، وأساقفته ، ورحبوا بنا ، معبرين عن سرورهم...."[٣].

مقابلة البطريرك للأمير عبدالله بن طاهر :

كانت مقابلة عبدالله بن طاهر لديونيسيوس تنم عن مدى احترامه وتقديره لمكانته ، فقد قال له : ما الذى دعاك أن تأتى إلى مصر وأنت

---

(١) تنيس : هى جزيرة مصرية تقع جنوب غرب مدينة بورسعيد فى بحيرة المنزلة ، ومدينة تنيس تقع فى الشمال الشرقى من البحيرة التى كانت تحمل اسمها فى العصور الوسطى ، وكانت تنيس أهم مراكز صناعة النسيج ، ويعتمد سكانها فى معاشهم على ما يأتيهم من خارج جزيرتهم ، إذ لم يكن لديهم غير ما يصطدون من أسماك وطيور . محمد بن أحمد بن بسام المحتسب التنيسى : أنيس الجليس فى أخبار تنيس ، نشر وتحقيق جمال الشيال ، مجلة المجمع العلمي العراقى ، المجلد الرابع عشر ، ١٩٦٧ م ، ص١٧٠ ــ ١٨١ ، المسعودى ، مروج الذهب ، ج١، صـ٢٦١.

(٢) يعقوب هو البطريرك الخمسون للأقباط ، كان راهباً فى دير أبى مقار ، أختير للمنصب فى ٨١٩ م , وبقى حتى وفاته عام ٨٣٠ م / ٢١٥ هـ. ساويرس بن المقفع : تاريخ البطاركة ،ج٢، تحقيق عبدالعزيز جمال الدين ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ٢٠٠٦م ، صـ ٧٠٩ وما بعدها، منسي القمص : تاريخ الكنيسة القبطية ، ط١ ، مطبعة اليقظة ، القاهرة ، ١٩٢٤ ، صـ ٤٥٣ ــ ٤٥٤ .

(٣) رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري ، صـ ٦١ ــ ٦٢ .

شيخ كبير ولك مثل هذه الرئاسة ، فإن رسالة منك كانت تفى بالغرض ، فتضمنها ما تريده ، لاسيما وأن أخاك هو صاحب الأمر، فأجبت يا صاحب العظمة ، إن هذا المطران يسعى لشخصه بسبب ما كابدته الرها ، أما أنا فأكثر تألماً لهدم كنائسنا وإبطال شعائرنا " [١].

نتائج الرحلة :

سلم البطريرك للأمير رسائل شكوى أهل الجزيرة والغرب من عماله هناك ، فزوده الأمير برسائل توصية بإعادة كل ما تهدم فى الرها ، وبمنع هدم أى كنيسة فى أى مكان ، وأنفذ رسالة إلى أخيه محمد بن طاهر ذيلها بتوقيعه جاء فيها " .....قد امتلأ معسكرى بالأساقفة والرهبان الأكرميين الرافعين شكوى ضدك ، متذمرين من الظلم الذى تكبدوه منك ، جراء هدمك كنائسهم ..... فإنى أعرف الذين حرضوك على التعدى على المسيحيين ، فهم لا يودون بعملهم هذا تقريبك إلى الله ، بل مصلحتهم الخاصة " [٢] ، وبعد ذلك أوصاه بالإمتناع عن أذى المسيحيين ، فلما تسلم محمد هذه الرسالة ألغى قراره السابق، وأمر بوقف هدم الكنائس ، وأخرج السجناء[٣].

(١) رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري ، صـ ٦٣.

(٢) رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري ، صـ ٦٤ ـ ٦٥ .

(٣) سيغال : الرها المدينة المباركة ، صـ ٢٤٥ .

بعض القضايا الجانبية التى تعرضت لها الرحلة :

مأساة مدينة تنيس :

عندما ذهب البطريرك ديونيسيوس التلمحري إلى مصر ، نزل فى ميناء تنيس ، وهى شبه جزيرة تحيط بها سواحل نهر النيل والبحر المتوسط ، ومحاطة بالماء ، وتعج بالسكان وقد حدثت بينه وبين سكانها محاورات عكست معاناة المدينة فيقول : " إلا أننا لم نجد فقراً أشد من فقر سكانها، فقد سألناهم كيف تردت أحوالهم إلى هذا الحد [١] فأجابونا قائلين: إن المياة تحيط بمدينتنا من كل حدب وصوب، وليس لنا زرع أو غلة أو فلاحة ، ولا يمكننا اقتناء الأموال ، والمياة التى نشربها تأتينا من بعيد ونشتريها بجهد جهيد كل أربع جرار بدرهم أما شغلنا فهو الكتان، تغزله النساء بالمغازل، ونحن ننسجه بالنول بأجرة قدرها نصف درهم، نتقاضاها يومياً من التجار أصحاب الأدوات، ولا يكاد شغلنا يكفى قوت يومنا، وحينما يحن موعد الضريبة يفرضون على كل بيت خمسة دنانير فنعانى من ذلك ونلقى فى السجون"[٢] .

يسترسل التلمحري فى حديثه عن معاناة مدينة تنيس المصرية التى

---

(١) يدل سؤال البطريرك على معرفته السابقة بمدينة تنيس ، فلقد أسهب المؤرخون والجغرافيون والرحالة القول فى وصفها والإشادة بموقعها البحرى وبمكانتها الإقتصادية ، فقد كانت تنيس ثغراً من أهم ثغور مصر الشمالية ، ومركزاً من أهم مراكز صناعة النسيج . المحتسب التنيسي، أنيس الجليس فى أخبار تنيس، صـ ١٧٠ ـ ١٨١، المسعودي : مروج الذهب ، ج١، صـ٢٦١.

(٢) رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري ، صـ ٦٣ ـ ٦٤ ، سهيل ذكار : الموسوعة الشامية ، ج٥ ، المصادر السريانية ، صـ ١٣

تمثلت فى ضيق العيش وثقل عبء الضرائب المفروضة على سكانها الذين يضطرون إلى رهن أولادهم للعمل كعبيد لدى المسلمين ، قد طلبوا منه التوسط لدى الأمير عبدالله بن طاهر ليرأف بهم ويخفف عنهم الضرائب، فطلب البطريرك منه ذلك ، لكنه أمر بأن يدفعوا الجزية أسوة بأهل الجزيرة(١).

القضية الثانية التى تعرضت لها الرحلة هى قضية العلاقات ما بين السريان اليعاقبة والأقباط فى مصر، فعلى أثر استقلال السريان استقلالاً بيعياً استحكمت عرى العلاقات بينهم وبين الأقباط الذين يشاركونهم معتقدهم بالطبيعة الواحدة ، وازدادت العلاقات متانة حتى إننا نجد فى سلسلة بطاركة الأقباط عناصر سريانية ، كما استعمل الأقباط كلمات سريانية فى قداسهم وطقوسهم الدينية بسبب الاتحاد المذهبى بين الكنيستين (٢) .

دأب البطاركة على تجديد العلاقات بين كنيستى الإسكندرية وأنطاكية، وظهر ذلك جلياً فى الرسائل المتبادلة بين الطرفين ، فكان بطريرك الإسكندرية يكتب سنوديقاً (رسالة الشركة والاتحاد بين الكنيستين) إلى بطريرك أنطاكية يعلمه فيها بتكريسه وكيفية وصوله واختياره للمنصب ، ويدعوه فيها بالأب الشريك ، ويتلقى منه الرد الحسن على ذلك ، ويحدث

---

(١) رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري ، صـ ٦٤ ، سهيل ذكار : المصادر السريانية ، صـ ١٣

(٢) من السريان الذين تولوا منصب بطريرك الأقباط دميانس الرهاوى فى القرن السادس الميلادى والبطريرك سيمون الأول عام ٦٨٩ م /٧٠ ه وغيرهم . فيليب دى طرازى ، عصر السريان الذهبى ، صـ ٢٣ .

نفس الأمر عند تكريس بطريرك أنطاكية فيرسل سنوديقاً إلى بطريرك الإسكندرية ، واستمر ذلك حتى عهد يعقوب بطريرك الكنيسة القبطية (٨١٩ ــ ٨٣٠ م) ، الذى لم يتمكن من ارسال سنوديقاً للتلمحري بسبب الحروب فى مصر والمشرق [١].

كان التلمحري يسمع عن البطريرك يعقوب ويتمنى لقائه واتيحت له الفرصة فى هذه الرحلة التى زار فيها مصر ، فنزل فى مدينة الشرقية ، فخرج سكانها وعددهم نحو ثلاثين ألف قبطى يتقدمهم البابا يعقوب والأساقفة ، واستقبلوا ديونيسيوس استقبالاً عظيماً ، وتحدثوا عن الاتحاد بين الكنيستين [٢]، ويذكر ديونيسيوس أن البابا يعقوب كان فاضلاً تقياً فيقول : " وجدت بطريركهم وأساقفتهم أتقياء ورعين، متواضعين، يحبون الله ويخافونه من كل قلوبهم ، وقد أكرموا مثوانا، وأظهروا لنا كل بشاشة ولطف مدة وجودنا فى مصر، مما نشكرهم عليه شكراً مستفيضاً " [٣] .

---

(١) ساويرس بن المقفع : تاريخ البطاركة ، ج ٢ ، صـ ٦٣٦ ـــ ٦٣٧ ، صـ ٧٠٢ ــ ٧٠٩ ، إيريس المصرى : قصة الكنيسة القبطية ، الكتاب الثانى ، ط٢، ٢٠٠٦م ، صـ ٣٦٧ ــ ٣٨٨ ، ويذكر ابن المقفع عدداً من الرسائل المتبادلة بين الطرفين ، عنها أنظر تاريخ البطاركة ،ج٢ ، صـ ٦٩٦ ــ ٧٠٢ .

(٢) منسي القمص : تاريخ الكنيسة القبطية ، صـ ٤٥٦ ، إيريس المصرى : قصة الكنيسة القبطية ، صـ ٣٧٦.

(٣) رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري ، صـ ٦٢ ـــ ٦٣ ، ساويرس بن المقفع : تاريخ البطاركة ، ج ٢ ، صـ٧٦٣ ــ ٧٦٧ ، منسي القمص : تاريخ الكنيسة القبطية ، ، صـ ٤٥٣ ــ ٤٥٦ .

الرحلة الثانية إلى بغداد عام ٨٢٩ م / ٥٢١٤ .

دواعى الرحلة :

بسبب القرار الذى أصدره الخليفة المأمون ، والذى يقضى بحق أية جماعة تتكون من عشرة أشخاص فأكثر إقامة رئيس لها دون معارضة ، مما أزعج البطريرك الذى علق على القرار بقوله " وذلك من أجل اضعافنا والتحكم فينا " فذهب إلى الخليفة لإلغاء هذا القرار[١] .

سبب هذا القرار:

كان النزاع والشقاق قد ازداد فى صفوف الطوائف المسيحية لدرجة كبيرة ، مما جعل بعضهم يلجأ إلى الخليفة لحل هذه النزاعات ، فقد ثار الشغب وحدث انشقاق فى نصيبين[٢] وبغداد ضد أساقفتهم ما بين مؤيد ومعارض ، وتدخل البطريرك وعزل بعضهم ، مما أدى إلى انشقاق الكنيسة إلى شطرين ، ورفع كل طرف دعواه إلى الخليفة يشتكى الطرف

(١) رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري ، صـ ٦٨ ـ ٦٩، تاريخ مار ميخائيل الكبير ، ج٣، صـ ٢٩.

(٢) تقع نصيبين فى إقليم ماردين ، وقد اشتهرت نصيبين فى القرن الرابع الميلادي بمدرستها الشهيرة ، التى نبغ فيها مار يعقوب الكبير ت. ٣٣٨م وخلفاؤه فى كرسى نصيبين ، وقد حفظت الوثائق معلومات عن هذه المدرسة ونظمها وقواعدها، التى تعتبر من أروع معالم التعليم السريانى ونواة لجامعات القرون الوسطى.نينا بيغو ليفسكايا : ثقافة السريان ، ص٦٤ ـ ٧٧، فيليب دى طرازى : عصر السريان الذهبى ، صـ ١٦ .

الآخر ويحمله تبعية ما حدث [١] ، ويورد التلمحري رد فعل الخليفة المأمون من هذه الخلافات عندما نقل قوله :" أيها المسيحيون إنكم تزعجوننا كثيراً وتؤذوننا ، لاسيما أنتم اليعاقبة كما هو واضح من الشكاوى التى تقدمونها إلينا ضد بعضكم البعض " [٢] .

اللقاء مع المأمون :

كان الخليفة المأمون غاضباً بسبب الشغب الذى أثاره المسيحيون فى البلاد جراء انشقاقهم وتنافسهم على الزعامة ، إلا أنه هدأ غضبه عندما علم بأن البطريرك جاء لزيارته ، وسمح له بالدخول ، ويروى التلمحرى أحداث ذلك فيقول : " وبعد فترة سمح لنا بالدخول إليه ، فوقف الأساقفة عن بعد ، وأذن لى بالدنو منه ، حيث كان يتنزه فى بستان ممتطياً فرسه ، فبسط إلىّ يده كالعادة المألوفة لدى الخلفاء " ثم تطرق البطريرك إلى موضوع الشكاوى التى وصلت إلى الخليفة ضد المسيحيين ، وذكر أن القرار الذى أصدره الخليفة حال دون تنفيذ قرارات العزل التى أصدرها البطريرك ضد أساقفته المتمردين ، الذين تشبثوا بحقهم فى إقامة رئيس لهم دون أن يحق لأحد معارضتهم وفقاً لقرار الخليفة [٣].

وقد تجرأ البطريرك وذكّر الخليفة بالعهود التى بين المسلمين

---

(١) جان فييه : أحوال النصارى ، صـ١١١ـ١١٦ ، عزيز سوريال عطية ، تاريخ المسيحية ، صـ ٢٤١.

(٢) رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري ، صـ ٧١، تاريخ مار ميخائيل الكبير ، ج٣، صـ ٢٩ـ ٣٤.

(٣) رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري ، صـ ٧٠ ـ ٧١ ، جان فييه : أحوال النصارى ، صـ ١١٦ .

والمسيحيين فقال : " فأنتم تعرفون أن بيننا وبينكم عهوداً ووثائق موقّعة ومختومة بخاتم الخلفاء الذين فتحوا البلاد ، وبناء على ذلك استسلمنا لكم ، فإذا نكثتم بتلك العهود ومنعتم عنا شعائرنا ورئاستنا ، تكونون قد ألحقتم الغبن بنا ، لأن أمورنا ستضطرب ، وستنتهى إلى محاربة بعضنا البعض ، ولن تعدوا حكامنا " . ويعلق البطريرك على هذه الجراة فيقول : " قلت هذا وأنا أصرخ وأحرك يدى تجاهه ، كالذى يخاصم زميله من أجل الغنيمة ، كما رفع هو الآخر صوته كمن يبارز نداً له دون أن يمتعض من الجرأة التى أظهرتها نحوه " [١] .

بعد أن استمع الخليفة المأمون لكلام البطريرك ، وعد بفحص القضية، وعاد البطريرك بعد عشرة أيام ، وبعد أن سلم عليه أمره الخليفه بالجلوس وقال له : " لقد أنحيت علىّ باللائمة أيها البطريرك ، بسبب القرار الذى أصدرته بحقكم ، لذا جمعت الفقهاء لأتحدث إليك أمامهم " وبعد الحديث معهم كان قرارهم مؤيداً لقرار الخليفة ، مما أثار البطريرك فبدأ يشرح للحضور بعض مبادىء المسيحية التى أرساها السيد المسيح وتلاميذه من بعده ، " وقسموا المسكونة أربعة أقسام وأقاموا رئيساً على كل قسم دعوه بطريركاً ، وجعلوا كراسيهم فى مدن كبرى هى روما والإسكندرية والقسطنطنية وأنطاكية ، وهؤلاء رسموا أساقفة وأقاموا رئيساً لكل عشرة أساقفة وخولوا الأساقفة رسامة كهنة وشماسة والرتب الأدنى منها ، ومن هنا فإن سلطة البطريرك تطال الأساقفة والكهنة والشماسة ..... ومنذ أيام المسيح وحتى اليوم لم يغير

(١) رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري ، صـ ٧١، جان فييه : أحوال النصارى ، صـ ١١٦

ملك ما تقاليدنا لاسيما خلفاء المسلمين..... وحيث أنك تلتـــزم جانـــب العدالة ، آمل أن لا تسن لنا قوانين جديدة " [١].

ثم تطرق البطريرك إلى مشكلة أخرى وهى هدم كنيســـة الموصـــل الكبرى، وإلغاء شريعة المسيحيين فيها ، فذكّر الخليفة بأن أهل الموصل سلموا مدينتهم للمسلمين طوعاً بعد أن تعهد فاتحها بعدم هدم أية كنيسة أو إبطال شريعة أهلها المسيحيين [٢].

نتائج الرحلة :

وصل البطريرك إلى ما كان يريده فقد قال الخليفة : " نحن لا نمنعكم من تجريد من يقاومكم من رتبته ، أما أن تطردوا شخصاً من الكنيسة أو تمنعوه من الصلاة فهذا ما لن نسمح لكم به، ..... إننا لن نتدخل بينكم، ولك إذا تمرد عليك أحد الأساقفة الذى تحت ســيطرتك ، وثـــارت فتنـــة بسببه ، فنأمر أن تبقى أوقاف كنيسته تحت سلطتكم، ولا يحق لـــه إدارة شؤون كنيسته باستثناء الصلاة فيها " [٣] .

وبالنسبة إلى مشكلة الموصل ، فقد أمر الخليفة قاضي القضـــاة أن يستمع إلى المواصلة حول فتح مدينتهم ، فإذا ثبت أنهم قد سلموها فعلاً طوعاً فلهم أن يتمتعوا بالعهد الذى أعطاهم فاتحها [٤]، وقد أمر المأمون

---

(١) رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري ، صـ ٧٢ ــ ٧٣ .

(٢) رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري، صـــ٧٥ ، جـــان فييـــه : أحـــوال النصارى ، صـــ ١١٧.

(٣) رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري، صـــ٧٥.

(٤) يذكر البلاذرى فى فتح الموصل " قالوا : ولى عمر بن الخطاب عتبة بـــن فرقـــد السلّمى الموصل ٢٠ ه ، فقاتله أهل نينوى ، فأخذ حصنها ، وهو الشرقى عنوة ، =

أن لا تهدم أية كنيسة فى أى مكان دون موافقة شخصية منه ، كما رفض اخراج المسيحيين واحلال المسلمين محلهم ، كما حث قواده على حسن معاملة أهل الذمة وعدم التعرض لهم بأذى [١].

يتضح من ثنايا السطور التى دونها البطريرك مدى التسامح الذى تمتع به الخليفة المأمون فى معاملة المسيحيين ، ومدى الحرية التى تمتعوا بها فى المطالبة بحقوقهم فى حضرة الخليفة كما يعكس وضع أهل الذمة فى ظل الخلافة الإسلامية ، فقد تمتعوا بحقوقهم كاملة ، وكانت حياتهم أمنة وكان مسموحاً لهم ممارسة شعائرهم بحرية تامة ما داموا يدفعون الجزية والخراج عن أراضيهم ، كما كانت كنائسهم محمية بالعهود التى أخذوها من المسلمين ، وإن كانوا يتعرضون أحياناً لحوادث قمع أو اعتداء فإنها حوادث ثانوية ، وتحاول السلطات السياسية التدخل لحل النزاع ورفع الظلم عنهم .

=

وعبر دجله فصالحه أهل الحصن الآخر على الجزية ، والإذن لمن أراد الجلاء فى الجلاء ، ووجد فى الموصل ديارات ، فصالحه أهلها على الجزية ". أنظر : فتوح البلدان ، صـ ٤٦٣ ـ ٤٦٤ .

(١) سيغال ، الرها المدينة المباركة ، صـ ٢٤٠ ـ ٢٤٥ ، جان فييه : أحوال النصارى، صـ ١١٧.

الرحلة الثانية إلى مصر هام ٨٣١ م / ٢١٦ ه :

دواعى الرحلة :

كانت بأمر من الخليفة المأمون لكى يقف البطريرك على أسباب ثورة أقباط مصر البيامين فى إقليم البشروط أو البشرود ، الذى يقع بين فرعي دمياط ورشيد فى دلتا مصر ، ومحاولة إقناعهم بالعدول عن تمردهم، بعد فشل قواته فى ذلك، ويقول التلمحري : " أرسل المأمون يقول لنا : إبق فى دمشق ، لأننا نريد أن ترافقنا إلى مصر ، لكى تذهب سفيراً إلى البيامين فى مصر السفلى، وتوصيهم بالعدول عن تمردهم"[١].

أسباب الثورة :

شعور البيامين بالظلم نتيجة تزايد الأعباء المالية عليهم , وثقل كاهلهم بالجزية والخراج ، وتعسف جباة الخراج فى معاملة الأهالى ، فى الوقت الذى كانوا يعانون ضيق العيش ، لذلك أعلنوا الثورة والعصيان , وامتنعوا عن دفع الجزية والخراج ، وطردوا عمال الخراج ، وهزموا والى مصر عيسى بن منصور[٢] وجيشه ، واشتعلت الثورة التى اشترك

---

(١) رحلات البطريرك ديونيسيوس ، صـ ٧٩. جاك تاجر : أقباط ومسلمون ، مؤسسة هنداوى ، ٢٠١٣م، صـ ٨٤.

(٢) هو عيسى بن منصور الرافعي ، كان والى الحوف بمصر ، وظهرت فيه كفاية ، فولى مصر من قبل أبى إسحاق المعتصم مستهل سنة ٢١٦ ه / ٨٣١ م ، وتوفى عام ٢٣٣ه/ ٨٤٧ه. الكندي : ولاة مصر ، تحقيق حسن نصار ، دار صادر ، بيروت ، د.ت ، صـ ٢١٤ .

فيها العرب والأقباط وعرفت بانتفاضة أسفل الأرض ٨٣١م / ٢١٦هـ[١].

ويوضح ساويرس بن المقفع ظلم جباة الخراج فيقول :" وكان متولى الخراج يعذب الناس فى كل مكان ، وأكثر النصارى البشموريين ، كانوا يعذبونهم بعذاب شديد ... ، حتى باعوا أولادهم فى الخراج من كثرة العذاب، لأنهم كانوا يربطوهم فى الطواحين ويضربوهم حتى يطحنوا مثل الدواب .... " [٢] .

سير الرحلة ، بدأت بصحبة الخليفة من دمشق براً عبر طريق فلسطين ، حتى مدينة الفرما المصرية ، ثم طلب المأمون من البطريرك الذهاب إلى المتمردين فقال له : " اصطحب الأساقفة الذين معك وجماعة من المصريين وسافر إلى المتمردين ، وأعطهم تعهداً بالأمان ،

---

(١) الكندي ، ولاة مصر ، صـ ٢١٤ ،المقريزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المعروف بالخطط المقريزية ، ج١ ، تحقيق محمد زينهم ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٩٨ م ، صـ ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، قاسم عبده قاسم : أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى ، صـ ٤٣ ـ ٤٤ ، سامية مصيلحي : بلبيس من الفتح الإسلامى حتى نهاية العصر الفاطمى ، دراسة تاريخية حضارية ، مجلة بحوث كلية الآداب ، جامعة المنوفية ، عدد ٥٩ ، أكتوبر ، ٢٠٠٤ ، صـ ٢٥٦ ، عبدالناصر إبراهيم عبدالحكم : ثورة أهل البشرود، ندوة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، ط١ ، ٢٠٠٥م ، صـ ١٢٨ ـ ١٢٩ .

(٢) تاريخ البطاركة ،ج٢، صـ٨١٠ ، يبالغ ابن المقفع فى وصف العذاب الذى تعرض له النصارى ، وذلك لأن المؤرخين المسلمين لم يفرقوا في ذلك بينهم وبين العرب المسلمين ، فذكروا أن ظلم عمال الخراج امتد إلى الناس جميعًا من أهل البشروط ، وكان سبب ذلك سوء سيرة عمال فيهم . الكندي : ولاة مصر ، صـ٢١٤.

وليحضروا إلى المكان الذى أختاره لإقامتهم ، وإن لم يذعنوا ، أهلكتهم بحد السيف ، فاستعطفته أن يبقيهم بمنطقتهم فرفض ، مصمماً على أحد الأمرين ، إما ترك بلادهم ، أو القتل ، وأمر أن يرافقنى بطريرك مصر ، فسافرنا بطريق النهر ، وبعد ثمانية أيام التحق بنا البطريرك يوساب [١]، فنزلنا إلى إقليم بشرود ، حيث يقيمون ، فوجدناهم مجتمعين فى إحدى الجزر المحاطة بالقصب والبردى " [٢].

شكلت المستنقعات والأحراش والأرض الموحلة نتيجة اختلاط مياه البحر بمياه النيل حماية طبيعية لإقليم البشرود ، فقد تميزت أراضيه بالسيولة التى تغوص فيها أقدام السائرين ، وكان أهلها قد تمرسوا عليها منذ صغرهم ، لكنها كانت عائقاً لسواهم لمن ليس لهم دراية بطبيعة المنطقة ، وقد كان ذلك سبباً من الأسباب التى جعلت جيش الخليفة يعجز عن مواجهتهم والقضاء على الثورة والتمرد [٣].

مقابلة البطريرك لزعماء الثورة البيامين : قابل البطريرك

(١) يوسف أو يوساب هو البطريرك الثانى والخمسون لأقباط مصر ، وهو من مدينة منوف العليا ، ومن رهبان دير أبى مقار ، تعلم اللغة اليونانية والتعاليم المقدسة للآباء الرهبان ، واصبح شماساً وترقى حتى أختير بطريركاً من ٨٣٠ ــ ٨٤٩ م ، وقد حاول التدخل لتهدئة الثوار البشرود ، فأرسل إليهم خطابات يخوفهم فيها من العذاب الذى سيلحق بهم حال استمرار خروجهم على السلطان ، فلما وصلتهم مع أساقفته ، وثبوا عليهم ونهبوا ما كان معهم ، وأهانوهم ، فعادوا إلى البطريرك الذى ساءه ذلك. ساويرس بن المقفع : تاريخ البطاركة ، صـ ٧٨٨ ــ ٧٩٤ ، ص٨١٥ ، منسي القمص : تاريخ الكنيسة القبطية ، صـ٤٥٩ ــ ٤٦٠.

(٢) رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري ، صـ٨١.

(٣) جاك تاجر : أقباط ومسلمون ، صـ ٨٣ .

ديونيسيوس التلمحري ويوساب بطريرك الكنيسة القبطية زعماء الثورة ، ووجها لهم اللوم على التمرد وعلى ما ارتكبوه من القتل ، وحاولا اقناعهم بالعدول عن التمرد ، وأطلعوهما على قرار المأمون الذى يقضى بمغادرتهم منطقتهم ، لكن زعماء الثورة رفضوا الاستسلام ، واشتكوا من الحاكم ، وطلبوا أن يقابلوا الخليفة ، ليطلعوه على ما يحتملونه منه فقد ضاعف عليهم الجزية ، وكان يسجنهم ، كما كان يفكر بقتل الكثيرين منهم حتى إبادتهم جميعاً لئلا يشكوه لدى الخليفة (١).

فشلت جهود التلمحرى ويوساب ومرافقيهم فى اقناع الأقباط البياميين بالعدول عن الثورة ضد سلطة الخليفة (٢)، " ولما أخبرنا القائد أفشين (٣) ، برفض المتمردين الاستسلام ، استطرد قائلاً : فالسلام غير وارد ، فإذهبا وقولا للخليفة أنه لا مكان للسلام ، وباشر يحاربهم ، فأضرم النار فى القرى والكروم والبساتين ، والكنائس فى أرجاء الإقليم كلها ، أما البياميون فكانوا يطعنون المسلمين ، ويرمونهم بالسهام والحراب من بين القصب ، واستقدموا جيرانهم وحرضوهم ضدهم ، فقتلوا وقتلوا " (٤).

---

(١) منسي القمص : تاريخ الكنيسة القبطية ، صـ ٤٦٠.

(٢) ساويرس : تاريخ البطاركة ، ج٢ ، صـ ٨٢٥ ـ ٨٢٦ ، جاك تاجر : أقباط ومسلمون ، صـ ٨٤ .

(٣) الأفشين حيدر بن كاوس الأشروستى ، قائد تركي استخدمه المأمون فى اخماد الثورات العارمة التى قامت فى عهده وأظهر كفاءة كبيرة . أحمد فريد رفاعى : عصر المأمون ، ج١، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٢٨م ، صـ٢٨٠ ـ ٢٨٦ .

(٤) رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري، صـ٨١ ـ ٨٢ .

موقف المأمون من شكاوى البيباميين :_عاد البطريرك التلمحري إلى الخليفة ليطلعه على كل الأمور بما فى ذلك الظلم الذى لحق بالبياميين ، وتجرأ ونصحه مذكراً إياه بواجبه تجاه رعيته ، والحساب الذى يقدمه لربه عن الرعية المؤتمن عليها [1]، وعندما سمع المأمون ما قاله التلمحري ، رد قائلاً : " إن هؤلاء العمال لا يتصرفون بحسب إرادتى ، وأنا لا أحب أن أثقل على الناس ، لا بل إننى أشفق على أعدائي الروم ، فكيف لا أشفق على رعيتي، وبإذن الله سأصحح كل شيء " [2].

الإجراءات التى اتخذها المأمون لاحتواء الموقف وانهاء ثورة البياميين :

استدعى الخليفة المأمون زعماء المتمردين وسمع شكواهم ، وأمر بالتحقيق فى شكواهم ثم أمرهم بمغادرة تلك المنطقة ، فأذعنوا له ، وغادروا بالسفن إلى أنطاكية ، ومنها إلى بغداد ، وكان عددهم نحو ثلاثة

---

(١) غضب المأمون هذه المرة من جرأة البطريرك التلمحري ، لأنه ألقى تبعية الثورة على عمال الخراج التابعين لأخيه المعتصم ، وظل ساخطاً عليه حتى نهاية خلافته ، وساءت أحوال التلمحري أكثر عندما أصبح المعتصم خليفة ، حتى هدأت الأمور بينهما بعد ذلك . منسى القمص ، تاريخ الكنيسة القبطية ، صـ ٤٦٠ ،
جان موريس فييه : أحوال النصارى فى خلافة بنى العباس ، صـ ١١٧ .

(٢) رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري ، صـ ٨٢ . يذكر ابن المقفع " كان المأمون رجلاً حكيماً فى فعله ، ويبحث فى مذهبنا ، ويجلس عنده قوم حكماء يفسرون له كتبنا ، وبهذ الحكم كان محباً للنصارى " ، وهذه شهادة من المسيحيين على تسامح المسلميين وعدلهم معهم ، تاريخ البطاركة ، ج٢ ، صـ٨٢٢ ـ ٨٢٣ .

آلاف ، وقد مات كثير منهم فى الطريق ، وأستعبد أسرى منهم ، وعددهم نحو خمسمائة نفس للمسلمين ، الذين أخذوهم إلى دمشق ، فافتكهم المسيحيون ، كما أصدر الخليفة أمراً إلى عماله بعدم الإساءة إلى المصريين ، أو قتلهم ، كما خفض الضرائب عنهم إلى النصف (١).

هذا ما دونه التلمحري فى رحلاته عن ثورة البياميين فى إقليم البشرود، والذى يمدنا بتفاصيل جديدة عن هذه الثورة لم ترد فى المصادر العربية فمثلاً يقول الطبرى : " ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائتين ..... ، ظفر الأفشين فيها بالبياما ، وهى من أرض مصر ، ونزل أهلها بأمان على حكم المأمون " (٢).

ويذكر اليعقوبي أن المأمون " أتاه الخبر أن أهل البشرود من كور مصر قد ثاروا ، فأمر أخاه أبا إسحاق أن يوجه الأفشين حيدر ابن كاوس، فوجه به، وكف عاديتهم،...، وانصرف إلى مصر سنة ٢١٦هـ، وقد عاود أهل الحوف وأهل البشرود المعصية ، فحاربهم ، واشتدت شوكة من كان يحارب الأفشين بمصر من أهل الحوف والبيما والبشرود، وهى من كور أسفل الأرض ، فخرج المأمون إلى كور مصر ، وقدم الأفشين فى محاربة أهل الحوف ، فزحف إليهم بنفسه ، فقتلهم ، وسبى البيما ، وهم قبط البشرود ..... وأخرج المأمون رؤسائهم ، فحملهم إلى

(١) رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري ، صـ ٨٢ ـ ٨٣ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ، صـ ١٨١٨ .

بغداد " (١).

قال الكندي:" انتفضت أسفل الأرض كلها عربها وقبطها فى جمادى الأولى سنة ست عشرة ومئتين ، وأخرجوا العمال ، وخالفوا الطاعة ، وكان ذلك لسوء سيرة العمال فيهم "(٢).

أما المقريزي فيقول : " فلما كان جمادى الأولى سنة ست عشرة ومائتين ، انتفض أسفل الأرض بأسره ، عرب البلاد وقبطها ، وأخرجوا العمال ، وخلعوا الطاعة ، لسوء سيرة عمال السلطان فيهم ، فكانت بينهم وبين عساكر الفسطاط حروب امتدت إلى أن قدم الخليفة عبدالله أمير المؤمنين ، إلى مصر لعشر خلون من المحرم سنة سبع عشرة ومائتين ، فسخط على عيسى بن منصور الرافعى ، وكان على إمارة مصر ، وأمر بحل لوائه ، وأخذه بلباس البياض عقوبة له ، وقال : لم يكن هذا الحدث العظيم إلا عن فعلك ، وفعل عمالك ، حملتم الناس ما لا يطيقون ، وكتمتنى الخبر ، حتى تفاقم الأمر ، واضطرب البلد ، ..... وبعث بالأفشين إلى القبط ، وقد خلعوا الطاعة ، فأوقع بهم فى ناحية البشرود ، فحكم فيهم المأمون بقتل الرجال ، وبيع النساء والأطفال ، فسبى أكثرهم " (٣).

---

(١) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج٣ ، منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف ، ١٩٦٤م صـ ١٩٩ ـ ٢٠٠ . ويتفق سعيد بن بطريق تقريباً مع اليعقوبي ، أنظر : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، صـ ٥٧ ـ ٥٨ .

(٢) ولاة مصر ، صـ ٢١٤.

(٣) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، مكتبة مدبولي، ١٩٩٨م ، صـ٢٣٦ - ٢٣٧.

بدراسة ما ذكرته المصادر العربية عن ثورة البباميين ، نجد أن الكندي والمقريزي اتفقا مع التلمحري فى سبب الثورة حينما قالا : " لسوء سيرة عمال السلطان فيهم " كما يذكر المقريزى أنها كانت ثورة شعبية اشترك فيها العرب والقبط كما يتعرض للإجراءات التى اتخذها المأمون لاحتواء الموقف ، ويتفق اليعقوبي مع التلمحري فى مصير زعماء الثورة حين ذكر " وأخرج المأمون رؤسائهم فحملهم إلى بغداد " .

بينما ينفرد التلمحري عنهم بالتفصيل كونه شاهد عيان ، ويذكر جهوده وجهود بطريرك الأقباط لقمع التمرد ومحاولة الوصول لحل بالطرق السلمية بعيداً عن سفك الدماء استجابة لأوامر الخليفة المأمون ، وينفرد التلمحري بنقل الحوارات التى دارت بينه وبين زعماء الثورة وبينه وبين المأمون ، كما تعرض لطبيعة بلادهم التى ساعدتهم فى التصدى لجيش المأمون .

ينفرد التلمحري فى موضع آخر من رحلاته بذكر دور القبط البباميين المنفين فى بغداد فى القضاء على الزط [١]، فلقد استعان بهم الخليفة المعتصم ،" فكانوا يغطسون فى الماء كالسمك دون أن يراهم أحد

(١) الزط أو الجت : قبائل تم استقدامها من بلاد الهند إلى جنوبى العراق فى عهد الأمويين ، لوضعهم فى مواجهة الخطوط الأمامية للروم ، واستمر وجودهم فى العراق حتى كثرت مشاكلهم ، وأصبحوا لصوصاً يعيثون فساداً ويقطعون الطرق على المارة وعلى التجار، ويطوفون البحيرات التى تصب فيها دجلة والفرات ، ولم يستطع الجنود مقاتلتهم لأنهم يحاربونهم فى قواربهم . الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ص١٨٣٣، ابن العبري : تاريخ الزمان، ص ٢٩. فاروق عمر : الخلافة العباسية ، ج١ ، صـ٢٦٤.

، ويمطرون الزطيين بالنبال ، ويهربون ، وهكذا هزم البياميون الزطيين، الذين قبض عليهم وعلى أهاليهم، وزجوا فى سجن بغداد ثم أعدموا " (١).

كما ينفرد التلمحري بذكر نهاية البياميين ، فبعد الانتصار الذى حققه القبط البياميين ضد الزط أحبهم الخليفة واختار منهم جماعة يعملون فى خدمته وحدائقه وبساتينه، وآخرون لينسجوا أقمشة قطنية ، نظراً إلى اشتهار المصريين بهذه الحرفة ، وأذن للبقية بالعودة إلى وطنهم ، فلما وصلوا إلى البحر ، وركبوا السفن ليعودوا إلى مصر ، ثارت عاصفة شديدة أغرقتهم جميعاً فى البحر (٢).

بالإضافة إلى ماسبق دون البطريرك التلمحري فى رحلته الثانية إلى مصر بعض من أوضاع كنيسة الإسكندرية, وتعرض لعادتهم بالنقد اللاذع فقد كان الأساقفة يدفعون الأموال للحصول على مناصبهم " لكننا لاحظنا فيهم بعض عادات لا تناسب فضيلتهم ..... لقد ألغيت عندهم قراءة الكتب المقدسة ، ورهبانهم خاصة خالون من هذه النعمة ، ..... أما الآخرون ، الذين يأملون فى الرئاسة ، فإنهم لا يهتمون بالمعرفة والحكمة، بل فى تحضير الذهب ، كمادة تدفع عن الموهبة التى هم مزمعون أن ينالوها ، وكأن المرء لا يستطيع أن يبلغ رئاسة الكهنوت

---

(١) رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري ، صـــ٩٢. ابن العبري : تاريخ الأزمان ، صـــ ٢٩ . لم تذكر المصادر العربية أى شىء عن دور البيامين فى حرب الزط ، فمثلاً تاريخ خليفة بن خياط ، أحداث سنة ٢١٩ه ، والطبري : تـــاريخ الأمـــم والملوك ، ص١٨٣٣ ــ ١٨٣٤.

(٢) رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري ، صـــ٩٢ ــ ٩٣.

بدون مائتين أو ثلاثمائة دينار أحمر ، ولا يمكن لمن ينقصه المال أن يدنو من هذه الدرجة مهما كان سامياً " . ولما عاتب التلمحري البطريرك يوساب ، فكان جوابه " اضطررنا إلى هذا التصرف لأن كنيسة الإسكندرية غارقة فى الديون" (١).

ذكر التلمحري " ومن عاداتهم عدم تعميد الذكر قبل إكماله الأربعين يوماً ، والأنثى ثلاثين ، فكان العديد من الأطفال يموتون بلا تعميد ، كما كانوا يخالفون القوانين فى عدة قضايا أخرى ، فكتبنا بعض الملاحظات وأعطيناها إياهم " (٢) .

دون التلمحري فى رحلته أيضاً بعض المظاهر الحضارية فى مصر ، فقد زار العديد من المناطق الأثرية ، منها ، مدينة هليوبوليس ، ووصفها بقوله : " فيها أعمدة ضخمة ، طول كل منها أكثر من ٦٠ ذراعاً ، ومحيطها ستة أذرع ، مركبة على قواعد بعرض عشرة أذرع ، لكى يبلغ ارتفاعها ٧٠ ذراعاً ، وقد نقشت صورة ألهة الوثنيين ، وكتابات حبرية على طول العمود ، لم يفلح أحد فى قراءتها " (٣).

كما شاهد الأهرامات ووصفها " وهى ليست مخازن يوسف ، كما ذهب البعض ، لكنها مقابر عجيبة ، شيدت فوق مدافن الملوك القدماء ، وهى مسطحة ، ومملوءة وليست فارغة من الداخل ، وهى خالية من الأبواب، ورأينا إلى جانب أحدها ثغرة يبلغ عمقها نحو ٥٠ ذراعاً، صفت

---

(١) رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري ، صـــ٨٥ .

(٢) رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري ، صـــ٨٦ .

(٣) رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري ، صـــ٨٦ ، هليوبوليس باليونانية تعنى مدينة الشمس وسماها العرب عين شمس وتقع شرق القاهرة .

جدرانها بالحجر الذى حطمه الناس فيما بعد ليروا فيما إذا كانت مجوفة أم لا، تبلغ مساحة كل من الأهرام خمسمائة ذراع طولاً وخمسمائة عرضاً ، ٢٥٠ ارتفاعاً ، ودعيت أهرام ، لأنها مسطحة ، وفيما أن قاعدتها خمسمائة ذراع، فإن قمتها هى ذراع واحد ، ويتراوح حجم كل حجر من حجارتها من خمسة إلى عشرة أذرع ، تظهر من بعيد وكأنها جبال ضخمة ، وشاهدنا إلى جانبها صخرة كالجبل أو كتل مستديرة ، وقد نحتت وصنع منها تمثال لعبادة ملوكهم (أبو الهول) " [١].

كما رأى التلمحري مقياس النيل[٢]" كما شاهدنا بيتاً مشيداً على نهر النيل ، قبل أن يتشعب إلى أربعة روافد ، يشبه صهريجاً مربعاً ، يتوسط عمود من حجر ، نقشت عليه درجات لقياس مياه النهر لدى فيضانه ، خلال أيلول ، حيث تدخل المياه إلى هذا البيت ، فيعرف المسؤولون مدى

---

(١) رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري ، صـ٨٨ ، تدحض هذه الرواية ما ذكره المقريزي من أن المأمون أمر بهدم جزء من الأهرام ليعلم ما بداخلها ، فالتلمحري يشير إلى وجود الثلمة (ثغرة) ولا يشير إلى علاقة المأمون بذلك . أنظر: المواعظ والإعتبار ،ج١، صـ٣٢٤ ـ ٣٢٥ـ

(٢) رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري ، صـ٨٨ ، تقول المصادر الإسلامية أن أول من قاس النيل هو يوسف عليه السلام ، وضع مقياساً بمنف، ثم عمل ملوك العجم مقياساً بإنصنا ، وآخر بإخميم ، ثم عمل القبط مقياساً فى قصر الجمع ، ثم عمل عبدالعزيز بن مروان مقياساً بحلوان ، ثم عمل أسامة بن زيد التنوخى فى خلافة سليمان بن عبدالملك مقياساً عند أنف الجزيرة ، ثم عمل المتوكل مقياساً بالجزيرة فى سنة سبع وأربعين ومائتين . ابن مماتى : كتاب قوانين الدواوين ، حققه عزيز سوريال عطية ، ط١، مكتبة مدبولى ، ١٩٩١م ، صـ ٧٥ ، المقريزى: المواعظ والإعتبار ، ج١، صـ ١٦٩ ـ ١٧٠.

ارتفاع منسوب المياه يومياً " ويذكر كيفية ارتباط الضرائب بمقياس النيل، " فإذا انخفض منسوب المياه إلى أكثر من ١٤ درجة ، وهى درجة معدل الفيضان ، فإن بقعة صغيرة فقط تروى من أرض مصر ، فلا تأتى بالمحصول المطلوب فى تلك السنة ، ولا تجمع الضرائب ، وإذا ارتفع منسوب المياه إلى ، ١٥ أو ١٦ درجة يكون المحصول معتدلاً وكذلك تكون الضرائب ، وإذا ارتفع منسوب المياه إلى ١٧ أو ١٨ درجة ، فإن الفيضان يتلف كل المحاصيل فى تلك السنة ، وخلاصة القول فإن المسؤولين يستطيعون أن يعرفوا من مقياس ذلك العمود مبلغ الضرائب التى تجمع من مصر سنوياً " (١).

مما سبق تتضح أهمية هذه الرحلة فى الوقوف على بعض الملامح الحضارية والسياسية فى تلك الفترة .

الرحلة الثالثة إلى بغداد عام ٨٣٤ ـ ٨٣٦ م / ٢٢٠ ـ ٢٢٢ه .

دواعى الرحلة :

لتهنئة الخليفة المعتصم على توليه الخلافة ومحاولة توطيد العلاقات والروابط الودية بينهما (٢).

---

(١) رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري ، صـ٨٨ ، لم يذكر التلمحري اسم الموضع الذى أتخذ مقياساً للنيل ، لكن يذكر المسعودي أن المقياس فى ذلك الوقت كان بالجزيرة التى تدعى جزيرة الصناعة وتقع بين الفسطاط والجيزة ، وهو الذى اتخذه أسامة بن زيد التنوخى. مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج١، صـ٢٥٨ ـ ٢٥٩ .

(٢) ديونيسيوس التلمحري : تاريخ الأزمان ، صـ ١٣، عزيز سوريال عطية : تاريخ المسيحية ، صـ ٢٤١.

خط سير الرحلة :

خرج التلمحري من بلاده قاصداً بغداد ، فوصل نصيبين ، وهناك توقف لحل بعض المشاكل الخاصة بالكنيسة ، ونجح فى إعادة اتحادها مع كنيسة أنطاكية ، ثم عرج على الموصل ، التى وجدها تعج بالمشاكل بسبب الاختلاف بين الموصل وتكريت حول بعض المطارنة ، فقد كان مسيحو الموصل يعتبرون قرياقوس من دير مار متى [١] مطراناً فى حين لم يعترف مسيحو تكريت به [٢].

واصل البطريرك طريقه إلى تكريت لرسامة مطران لها ، وخلال ذلك وقف على سبب النزاع بينها وبين الموصل ، ونجح فى التوفيق بينهما ، بعد أن تم الاتفاق على أن ينادى بأسقف الموصل مطراناً ، وفى الوقت نفسه يكون خاضعاً لمطران تكريت ، وللأخير أن يدعو إلى الاجتماع من يشاء من الأساقفة الذين تحت سلطته ، وفى حالة نشوب الخلاف بين أسقف الموصل ورعيته ، فإن مطران تكريت هو الذى يفصل بينهم وفق القوانين الكنسية ، انتهى البطريرك من رأب الصدع بين الموصل وتكريت فى تشرين الثانى(نوفمبر) عام ٨٣٥ م / ٢٢١ه ، وبينما كان يتأهب لمواصلة رحلته إلى الخليفة المعتصم ، وردته أخبار تستدعيه العودة إلى بلاده ، لذلك عاد إلى الجزيرة [٣].

---

(١) يقع دير مار متى فى شرق الموصل ، أنشىء فى أواخر القرن الرابع الميلادى ، وبدأ التعليم فيه فى العقد الثالث من القرن السابع . أغناطيوس أفرام برصـــوم : اللؤلؤ النثور ، صـــ ٢٠.

(٢) رحلات البطريرك ، صـــ٩٧.

(٣) رحلات البطريرك ، صـــ٩٨ ــ ٩٩.

مقابلة البطريرك للخليفة المعتصم : استأنف البطريرك رحلته مرة أخرى من بلاد الجزيرة إلى بغداد التى وصلها فى مطلع عام ٨٣٦م، فذهب لمقابلة الخليفة وتهنئته فى سامراء ، المدينة الجديدة التى شيدها بين دجلة والفرات، وقد حصل منه على فرمان بسلطته الكنسية [١].

العلاقات بين خليفة المسلمين وملك النوبة : دون التلمحري فى هذه الرحلة بعض الأمور الخاصة بالعلاقات بين الطرفين ، فيذكر بعض الحقوق والواجبات المتبادلة بين الخليفة وملوك النوبة ، اعتاد ملوك النوبة أن يقدموا سنوياً لخلفاء المسلمين " ثلاثمائة وستين عبداً أسوداً ، وقردة مدربة ومروضة على تقليد أفعال الإنسان، وحيوانات تدعى زرافة، وعاجاً، وجلود النمور، ومقابل ذلك كان خلفاء المسلمين يعطون النوبة كذا كيل من القمح ، وكذا كيل من زيت الزيتون وأوانى وثياباً فاخرة "[٢].

يتطرق التلمحري إلى بعض الأمـــور الجديـــدة الخاصـــة بهـــذه

---

(١) رحلات البطريرك ، صـــ٩٩، جان فييه : أحوال النصارى ، صـــ١٢٩ ــ ١٣٠.

(٢) رحلات البطريرك ، صـــ١٠٠ ، ابن العبري : تاريخ الزمان ، صـــ ٢٩. هو ما يعرف فى المصادر الإسلامية بالبقط ، وأول ما تقرر هذا البقط على النوبـــة فـــى إمارة عمرو بن العاص ، لما بعث عبدالله بن سعد بن أبى سرح بعد فتح مصـــر إلى النوبة فيما بين عامى ٢٠- ٢١ه / ٦٤٠ – ٦٤١ م ، فى عشرين ألفاً ، فلما مات عمرو نقض النوبة الصلح ، فغزاهم مرة ثانية عبدالله بن ســـعد ، فطلبـــوا الصلح معه على ثلاثمائة وستين رأساً فى كل سنة ، ووعد عبدالله ملكهم بحبوب يهديها إليه ، لما شكا له قلة الطعام ببلده ، وكتب لهم كتاباً بذلك . المقريـــزى : المواعظ والإعتبار ، ج١، صـــ٥٦٠ ، مصطفى محمد سعد : الإسلام والنوبة فى العصور الوسطى ، الهيئة المصرية للكتاب ، ٢٠١١م، صـــ ١٢٢.

العلاقات، فيذكر أن الخلفاء المسلمين أعطوا ملوك النوبة الحق فى جباية الضرائب من النوبيين الساكنين فى بلاد المسلمين ، وبموجب هذا الاتفاق تم السلام بين الطرفين ، فلم يعد المسلمون يسبون النوبيين ، ولا النوبيون يجتازون مدينة أسوان الحدودية ، واستمر هذا الوضع حتى أيام هارون الرشيد الذى بلغ شأواً عظيماً ، مما أدى إلى تغير العلاقات ، فأبطل الخلفاء عادة تبادل الهدايا ، بعد أن استصغروا ملك النوبة ، وكذلك أبطلها النوبيون ، وعندما تولى المعتصم أرسل إلى ملك النوبة يطالبه بتأدية الإتاوة كالعادة القديمة ، مع هدايا السنين القديمة ، أربع عشرة سنة وإلا سيوجه له الجيوش لمحاربته [١].

عندما وصل رسل الخليفة إلى النوبة ، وجدوا ملكهم قد توفى وخلفه فتى اسمه جورجي ، تنحدر أمه من العائلة الملكية ، وكان أبوه زكريا وصياً على المملكة ، ويدير دفة الحكم ، ولما استقبل زكريا رسل الخليفة[٢]، قرر إرسال ابنه الملك جورجي موفداً إلى الخليفة ، لتهنئته والسلام عليه ، فكتب الرسل إليه يخبرونه بزيارة ملك النوبة ، فكتب لهم

---

(١) رحلات البطريرك ، صـ١٠١، ابن العبري : تاريخ الزمان، صـ٢٩ ، منسي القمص : تاريخ الكنيسة، صـ ٤٦٢

(٢) عمل يوساب بطريرك الكنيسة القبطية على احتواء الموقف بين الخليفة وملك النوبة ، فأرسل للأخير يقول : " إن الخليفة المعتصم يبدى المودة للمسيحيين ، فيحسن بك أن تلبى نداءه ما استطعت إلى ذلك سبيلا " ، وعندما قرأ زكريا رسالتى الخليفة والبابا ، جمع مستشاريه وقال لهم : " ليس فى استطاعتى أن أغادر البلاد بنفسى ، حرصاً على سلامتها ، وأرى أن ابنى الأكبر وولى عهدى ، خير رسول يحمل ردى على هاتين الرسالتين ". إيريس المصرى ، قصة الكنيسة القبطية ، صـ ٣٨٢ ـ ٣٨٣ ، منسي القمص : تاريخ الكنيسة ، صـ ٤٦٢.

أن يتمهل ريثما يتخذ الإجراءات لاستقباله ، وأمر العمال فى مصر أن يخرجوا إلى لقائه ، وإذا وصل الفسطاط يمدونه بما يحتاج إليه هو وحاشيته من المؤن والنفقات [١].

الإجراءات التى اتخذها المعتصم لاستقبال ملك النوبة :

ينفرد التلمحري بذكر هذه المراسم ، لما سمع المعتصم أن ملك النوبة خرج وبلغ مصر [٢]، كتب إلى جميع الحكام من مصر إلى بغداد ، يأمرهم أن يستأجروا له جمالاً تكفى لإكرامه ، وأن يدفعوا له كل يوم خمسين ديناراً لنفقاته حيثما يحل ، ويستقبله حكام المدن بما يليق به كملك ، وطبقاً لذلك استقبله فى الرقة أمير الجزيرة ، واحتفى به المسيحيون والمسلمون ، وتهافتوا عليه ، " فقد كان يركب جملاً مسرجاً بسرج غريب ، يختلف عن سرج منطقتنا ، تعلوه مظلة موشاة بأقمشة فاخرة ، وعلى قمتها صليب ذهبى ، وأمسك عصا بإحدى يديه وصليباً بالثانية ، وإلى جانبه يسير شباب نوبيون حاملين صلباناً بأيديهم ،

(١) ابن العبري : تاريخ الزمان ، صـ ٢٩ ـ ٣٠ ، تذكر المصادر الإسلامية أن ملك النوبة امتنع عن دفع البقط وجاء إلى المعتصم للاطلاع على حال المسلمين وقوتهم، ليقرر إذا ما كان سيتمكن من حربهم أم لا . المقريزى : المواعظ والاعتبار، ج١، صـ ٥٦٣ ، مصطفى سعد : الإسلام والنوبة ، صـ ١٢٢ـ ١٢٣.

(٢) استقبل البابا يوساب بطريرك الإسكندرية ملك النوبة فى مصر استقبالاً عظيماً ، ثم ودعه ، فواصل طريقه لمقابلة الخليفة المعتصم . ساويرس بن المقفع : تاريخ البطاركة ، صـ ٨٤٩ منسى القمص : تاريخ الكنيسة القبطية ، صـ ٤٦٢ ، إيريس المصري : قصة الكنيسة ، صـ ٣٨٣ منسى القمص : تاريخ الكنيسة ص٤٦٢.

ويتقدمه أسقف راكبا ، وبيده صليب ، وكنيسة من خيمه ، وجميع هذه الصلبان من ذهب ، وجميع الفرسان والعبيد الذين معه من السود "[1].

قضى جاورجي عيد الميلاد فى الرقة ، وخلال ذلك كتب إلى البطريرك التلمحرى ، يطلب زيارته ، فأجابه : " لا يمكننى ذلك قبل مقابلتى الخليفة ، وبإمكانك أن تسبقنى وسوف أراك هناك " ، ثم نزل جاورجي إلى بغداد ، فاحتفى به الجيش فى الشوارع ، وحل فى أحد القصور الملكية ، ومكث هناك من فبراير حتى أغسطس دون أن يقابل الخليفة [2].

سبب تأخر الخليفة عن مقابلة ملك النوبة :

كان أحد النوبيين المكلف بجباية الضرائب من النوبيين الذين فى بلاد الإسلام ، قد تمرد على ملك النوبة الذى سجنه ، لذلك أراد أن ينتقم منه، فأرسل إلى الخليفة يشكك فى نسب الملك جاورجي ، ويذكر أنه محتال وليس ملكاً ، لذا أرسل الخليفة إلى مصر من يحقق فى ذلك الأمر ، فلما

(١) رحلات البطريرك ، صـ ١٠٢ ، يتعجب المؤرخون المسيحيون من هذه المراسم، وذلك لأنه كان من غير المسموح للنصارى أن يظهروا الصلبان ، كما إزدادت دهشتهم لأن ملك النوبة عاقب من طعن فى نسبه وهو من رعاياه الذين أسلموا ، فأمر به وقيد دون أن يعقب ذلك اعتراض من المسلمين . ساويرس : تاريخ البطاركة ، صـ ٨٥١ جان فييه : أحوال النصارى ، ص ١٢٩ ـ ١٣٠.

(٢) رحلات البطريرك ، صـ ١٠٠ـ ١٠٣، ابن العبري : تاريخ الزمان، صـ ٢٩ ـ ٣٠.

تأكد أنه ملك ، أرسل يطلبه [١].

المقابلة بين الخليفة وملك النوبة :

أرسل المعتصم القوات العسكرية لاستقبال ملك النوبة ، بكامل أسلحتهم وزينتهم ، فاجتاز بينهم وهم منتظمون على جانبى الطريق ، يعلو رأسه إكليل ، ويعلو تاجه صليب ، واستقبله الخليفة بحفاوة كبيرة ، فأمسكه من يديه ، وقبّله ، وأجلسه أمامه ، وتحاور معه بواسطة مترجم، قال الخليفة المعتصم لملك النوبة : " مادمت جئت بنفسك ، وتجشمت متاعب السفر هذه المسافات الطويلة ، فإننى سأتنازل لكم عن المتأخر من الضريبة ، ثم أعطاه هدايا كثيرة ، من فضة وذهب وثياب ومسك وعنبر ، وعشرين جملاً ، وزوده برسائل إلى حكام البلاد التى سيمر عليها ليكرموه ، حتى يصل إلى بلاده [٢].

مقابلة البطريرك التلمحرى لملك النوبة :

بعد أن قابل الخليفة ملك النوبة سمح للبطريرك أن يلتقى به ، ورافقه بعض الأساقفة ، ويصف التلمحري هذا اللقاء " فوجدناه شاباً

---

(١) رحلات البطريرك ، صـ١٠٣ ابن العبرى : تاريخ الزمان ، ص٣٠ ، جان فييه: أحوال النصارى ، صـ ١٢٩.

(٢) رحلات البطريرك ، صـ١٠٣ ، ساويرس : تاريخ البطاركة ، ص ٨٥١ ، إيريس المصري : قصة الكنيسة، ص ٢٨٣ ، يذكر المقريزي أن ملك النوبة بهره ما رأى من كثرة الجيوش وعظم العمارة فى بغداد ، وما أظهره له المعتصم من كرم وإحسان، فقد قبل هديته وكافأه بأضعافها ، كما قبل دفع البقط بعد انقضاء كل ثلاث سنين ، وكتب المعتصم له كتاباً بذلك ، استمر إلى عهد الفاطميين . المواعظ والاعتبار ،ج١، صـ٥٦٣ـ٥٦٤ .

ذكياً ، ابن عشرين عاماً ، بهى الطلعة ، متألقاً، ومهذباً ، ذا هيئة تليق بالملوك،....، وقدمنا الذبيحة يوم الأحد ، وناولناه والذين معه ، وكانوا حاملين معهم طقماً كاملاً من آنية القداس ، ..... وقد أكرمنا ملك النوبة ببعض الهدايا الذهبية والفضية ، التى تليق أن تقدم له من قبل أمثالى ، لتبقى ذكرى فى مملكتهم " [١]، ثم قصد مصر ، وقابل البابا يوساب وقدم له تقريراً عن كل ما لاقاه فى هذه الرحلة [٢] .

مما سبق تتضح أهمية هذه الرحلة التى استمرت أكثر من شهر بسبب الانشقاقات الكنسية ، فقد دون البطريرك فيها قصة العلاقات بين مملكة النوبة المسيحية ذات العقيدة الأرثوذكسية مع الخلافة العباسية ، والمراسم المتبعة لاستقبال الملوك النوبيين ، وهى معلومات لا نجدها فى أى مصدر آخر .

(١) رحلات البطريرك ، ص١٠٠، ابن العبري : تاريخ الزمان، ص٣٠ــ ٣١، جــان فييه : أحوال النصارى، صــ ١٣٠.

(٢) إيريس المصري : قصة الكنيسة القبطية ، الكتاب الثانى ، صــ ٢٨٣.

أهم النتائج التى توصل إليها البحث :

اتضحت أهمية المصادر السريانية فى التاريخ بصفة عامة والتاريخ الإسلامى بصفة خاصة ، فهى تعكس كثيراً من الحقائق المبهمة التى أغفلتها المصادر العربية .

عاش أهل الذمة فى سلام وأمان فى ظل الخلافة الإسلامية ، وتمتعوا بحقوقهم كاملة ، باعتراف مؤرخيهم ، الذين أثنوا على الخلفاء والحكام ، كما تمتعوا بالجرأة والشجاعة فى المطالبة بحقوقهم لدى الحكام ، الذين بذلوا ما فى وسعهم لتحقيق العدل بين رعاياهم .

لم تكن ثورة البشرود ثورة دينية كما يزعم البعض ، ولكنها ثورة شعبية عامة ، نتيجة الأعباء المادية المختلفة التى تحملها الشعب ، سواء من الضرائب أو الخراج ، وقد اشترك فيها المسلمون والمسيحيون معاً للوقوف فى وجه ظلم عمال الخراج ، والمطالبة بتخفيف الضرائب .

تبين مما خطه المؤرخ ديونيسيوس التلمحري بقلمه ، مدى الانقسام والاختلاف الذى سيطر على المسيحيين بسبب تفرقهم إلى مذاهب وفرق متعددة ، مما حال دون اتحادهم ، وكان له أسوء الأثر على تاريخ كنيسة أنطاكية فى هذه الفترة .

ألقى البحث الضوء على العلاقات بين السريان والأقباط ، تلك التى كانت وطيدة بسبب الاتحاد المذهبى بينهما ، كما ألقى الضوء على العلاقات ما بين الخلفاء المسلمين ، وملوك النوبة والمراسم المتبعة لاستقبال ملوك النوبة .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر :

- الآباء المؤرخون ، مصادر التاريخ الكنسى ، سلسلة آباء الكنيسة ، ترجمة أنطوان جورج ، كنيسة مار مرقس ، الإسكندرية، ١٩٩٣ م .
- الأسعد بن مماتي (ت. ٦٠٦ ه / ١٢٠٩ م) ، كتاب قوانين الدواوين، جمعه وحققه عزيز سوريال عطية ، ط١، مكتبة مدبولى ، القاهرة ،١٩٩١م .
- الأصطرخي ، المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر الحينى ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦١ م .
- أفتيشيوس المكنى بسعيد ابن البطريق ، كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، بيروت ، ١٩٠٩ م .
- البلاذرى (أبى العباس أحمد بن يحيى بن جابر ت. حوالى ٢٧٩هـ) ، فتوح البلدان ، تحقيق عبدالله الطباع ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، ١٩٨٧م .
- تاريخ الزوقنيني المنحول لديونيسيوس التلمحري ، نقله للعربية بطرس قاشا ، منشورات المكتبة البوليسية ، ٢٠٠٦ م .
- ديونيسيوس التلمحري ، تاريخ الأزمان ، ترجمة شادية توفيق حافظ ، ط١ ، المركز القومى للترجمة ، القاهرة ، ٢٠٠٨ م .
- ديونيسيوس التلمحري ، رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحرى ، تحقيق تيسير خلف ، ط١، دار السويدى ، الإمارات العربية المتحدة ، ٢٠١٤م.
- ساويرس بن المقفع ، تاريخ البطاركة ، ج٢ ، تحقيق عبدالعزيز جمال

الدين ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ٢٠٠٦ م .
- الطبري أبو جعفر محمد بن جرير(٢٢٤ ــ ٣١٠ ه) ، تاريخ الأمم والملوك ، نسخة تامة ، اعتنى به أبو صيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية ، د. ت
- ابن طيفور (أبى الفضل أحمد بن أبى طاهر ، ت . ٢٨٠ ه) كتاب بغداد ، تحقيق محمد زاهد الكوثرى ، الثقافة الإسلامية ، ١٩٤٩ م .
- ابن العبري ، أبى الفرج جمال الدين ، تاريخ الزمان ، نقله إلى العربية إسحاق أرملة ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٩١ م .
- الكندي أبى عمر محمد بن يوسف (٢٨٣ ــ ٣٥٠ ه) ، ولاة مصر ، تحقيق حسين نصار ، دار صادر ، بيروت ، د. ت .
- الكندي أبى عمر محمد بن يوسف (٢٨٣ ــ ٣٥٠ ه) ، الولاة وكتاب القضاة ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٨ م .
- المحتسب التنيسى ، محمد بن بسام ، أنيس الجليس فى أخبار تنيس ، نشر وتحقيق جمال الشيال ، مجلة المجمع العلمى العراقى ، المجلد الرابع عشر ، ١٩٦٧ م .
- المسعودي الإمام أبى الحسن بن على المسعودى ، ت. ٣٤٦ه / ٩٥٧م ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج١ ، اعتنى به وراجعه ، كمال مرعى ، ط١ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ٢٠٠٥ م .
- المقريزي تقى الدين أحمد بن على المقريزى ، ت. ٨٤٥ه / ١٤٤١م ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ج١، مكتبة مدبولى ، القاهرة، ١٩٩٨ م .
- ميخائيل السرياني ، تاريخ مار ميخائيل الكبير ،ج٢ ،ج٣ ، ترجمة مار غريغوريوس صليبا شمعون ، ط١، ، دار ماردين ، حلب ، دمشق

، ١٩٩٦ م .
- اليعقوبي (أحمد بن أبى يعقوب المعروف بابن واضح الإخبارى المتوفى بعد ٢٩٢ه ، تاريخ اليعقوبى ، ج٣ ، منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف ، ١٩٦٤ م .
- يوحنا الآسيوى ، تاريخ الكنيسة ، الكتاب الثالث ، ترجمة صلاح محجوب ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٠ م .
- يوسابيوس القيصري ، ترجمة أنطوان فهمى جورج ، علم الباترولوجى ، سلسلة آباء الكنيسة ، ١٩٩٢ م .

ثانياً المراجع :

- أحمد فريد رفاعي، عصر المأمون ، ج١، دار الكتب المصرية ، ١٩٢٨م .
- أسد رستم ، كنيسة مدينة الله العظمى أنطاكية العظمى ، ج٢، منشورات المكتبة البوليسية ، ١٩٨٨ م .
- أغناطيوس أفرام برصوم ، اللؤلؤ المنثور فى تاريخ العلوم والآداب السريانية ، سلسلة التراث السريانى ، ط ٥ ، حلب ، ١٩٨٧ م .
- إيريس حبيب المصري ، قصة الكنيسة القبطية ، الكتاب الثانى ، ط٨ ، ٢٠٠٦ م .
- تيسير خلف، الرواية السريانية للفتوحات الإسلامية ، مؤسسة الثقافة، دمشق،٢٠١٠ م .
- جاك تاجر ، أقباط ومسلمون ، مؤسسة هنداوي ، القاهرة ، ٢٠١٣م.
- جان موريس فييه ، أحوال النصارى فى خلافة بنى العباس ، ترجمة حسنى زينه ، ط١، دار المشرق ، ، بيروت ، ١٩٩٠ م .
- جواد علي ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج٣ ، ط١، مكتبة

النهضة ، بيروت ، ١٩٦٩ م .

- جورج شحاته قنواتي، المسيحية والحضارة العربية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، د. ت.
- حسين نصار ، نشأة التدوين التاريخى ، عند العرب ، ط٢، منشورات إقرأ ، بيروت ، ١٩٨٠ م .
- سامية على مصيلحي ، مدينة بلبيس من الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة المنوفية ، عدد٥٩ ، أكتوبر ٢٠٠٤ م .
- سهيل زكار ، الموسوعة الشامية ، ج٥ ، المصادر السريانية ، دمشق، ١٩٩٥ م .
- سيده إسماعيل الكاشف ، مصادر التاريخ الإسلامي ، دار الرائد العربى، بيروت ، ١٩٨٣م .
- سيغال ، الرها المدينة المباركة ، ترجمة يوسف جبرا ، دار الرها ، حلب ، ١٩٨٨م .
- الشحات السيد زغلول ، السريان والحضارة الإسلامية ، ج٣، ط١ ، مكتبة النهضة ، بيروت ، ١٩٦٩ م .
- عبدالناصر إبراهيم عبدالحكيم ، ثورة أهل البشرود ، أعمال ندوة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، ٢٠٠٥ م .
- عزيز سوريال عطية ، تاريخ المسيحية الشرقية ، ترجمة إسحاق عبيد، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٥م .
- فاروق عمر فوزي ، الخلافة العباسية ، عصر القوة والازدهار ، ج١، دار الشروق ، الأردن ، ٢٠٠٩م .
- فيليب حتي ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ج١، ترجمة جورج

حداد، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٨م .

- فيليب حتي ، موجز تاريخ العرب ، دار العلم ، بيروت ، ١٩٩١ م .
- فيليب دى طرازي ، عصر السريان الذهبى ، مؤسسة هنداوى ، القاهرة، ٢٠١٣م .
- قاسم عبده قاسم ، أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى ، دراسة الوثائقية ، ط٢، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩ م .
- مراد كامل وآخرون ، تاريخ الأدب السريانى من نشأته إلى العصر الحاصر ، دار الثقافة ، ١٩٨٧ م .
- مصطفى محمد سعد ، الإسلام والنوبة فى العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠١١م .
- منسي القمص ، تاريخ الكنيسة القبطية ، ط١، مطبعة اليقظة ، القاهرة، ١٩٢٤م .
- مهدي صالح سيلفانى ، الأيوبيون فى كتابات المؤرخين السريان ، آربيل ، ٢٠١٢م .
- نينا فكتورفنا بيغوليفسكيا ، ثقافة السريان فى القرون الوسطى ، ترجمة خلف الجراد ، معهد الإستشراق التابع للأكاديمية السوفيتية ، دار العلم، موسكو ، ١٩٧٩م .
- نينا فكتورفنا بيغوليفسكيا ، العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادى ، نقله من الروسية صلاح الدين هاشم ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، ١٩٨٥م .
- اليسوعي ، معجم الإيمان المسيحى ، دار المشرق، بيروت ، ١٩٩٨م.